الأدب الوجيز للولد الصغير

تأليف
عبد الله بن المقفع

ينشر هذا الكتاب لأول مرة فى العالم العربى

تعريب وتحقيق
محمد غفرانى الخراسانى

مدرس اللغة الفارسية وآدابها بكلية الدراسات العربية بجامعة الأزهر الشريف
وكلية الآداب بجامعة الإسكندرية

ملتزم الطبع والنشر
عالم الكتب
٣٨ شارع عبد الخالق ثروت - ت ٥١٤٠١
القاهرة



الأَدَبُ الوَجيز لِلوَلَدِ الصَّغِير

تأليف

عبد الله بن المقفع

ينشر هذا الكتاب لأول مرة فى العالم العربى

تعريب وتحقيق

محمد غفرانى الخراسانى

مدرس اللغة الفارسية وآدابها بكلية الدراسات العربية بجامعة الأزهر الشريف
وكلية الآداب بجامعة الإسكندرية

ملتزم الطبع والنشر

عالم الكتب

٣٨ شارع عبد الخالق ثروت - ت ٥١٤٠١

القاهرة

نشر هذا الكتاب لأول مرّة في إيران
بالفارسية بتحقيق الأستاذ عباس إقبال
وقد نقل أصله العربي إلى الفارسي
الفيلسوف نصير الدين الطوسي . .

مطبعة مخيمر ت ٤٧١٩٣

اَلْأَدَبُ الْوَجِيز لِلْوَلَدِ الصَّغير

تألیف

عبدالله بن المقفع

ترجمهٔ

خواجه نصیرالدین طوسی

باهتمام و تصحیح

سید عبدالرّحیم خلخالی

بسرمایهٔ کتابخانه کاوه

آبان ماه

سال یکهزار و سیصد و دوازده شمسی

مطبعهٔ مجلس

صورة الصفحة الأولى من الطبعة الفارسية
لكتاب (الأدب الوجيز)

إهـــداء

إلى الكاتب المبدع والمفكر الحرّ الذى جدّد شباب العربية وآدابها وأحيا تراث الفرس وثقافتهم عبد الله بن المقفع — داذ به بن داذ جشنس — اهدى هذا الكتاب .

جاءت سليمان يوم العيد قبرة
أتت بفخذ جراد كان فى فيها
ترنمت بفصيح القول واعتذرت
ان الهدايا على مقدار مهديها

محمد غفرانى

القاهرة — ١٠/آذر/١٣٤١ هـ-ش

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

— ١ —

رسالة « الأدب الوجيز للولد الصغير » من تأليف عبد الله بن المقفع رسالة نفيسة ممتعة كانت مجهولة من بين تراث ابن المقفع الذى بقى لنا بأسلوبه العربى البليغ الرصين . .

وقد شاءت الصدفة « العجيبة » أن يفقد الأصل العربى لهذه الرسالة ، ولم يبق منه إلا ترجمة فارسية قام بها أحد أعلام الاسلام ، وجهابذة الفرس ، وهو الفيلسوف الإيرانى « نصير الدين الطوسى[1] » . ويقول الطوسى مقدمة هذه الترجمة : « انه اتفق أن عرض بعض كبار الموظفين على ناصر الدين عبد الرحيم أبى منصور (أحد حكام المقاطعات الايرانية فى عصره) كتابا يشتمل على بضعة رسائل لعبد الله بن المقفع فى الآداب والمواعظ ،

---

(١) هو نصير الدين محمد بن محمد بن حسن الطوسى ولد فى مدينة « طوس » عام (٥٩٧ هـ) ... كان كاتبا خصب الانتاج فى الموضوعات الدينية والفلسفية ، والرياضية . والطبيعية ، وأحكام النجوم . وله مالا يقل عن ستة وخمسين مؤلفا أغلبها مكتوب باللغة العربية ، وله أيضا مؤلفات باللغة الفارسية ، وقد مات فى مدينة بغداد عام (٦٧٣ هـ) (تاريخ الأدب الإيرانى لادوارد براون ج ٢ ص ٢٤٨ ترجمة الدكتور ابراهيم أمين الشواربى) ، وراجع أيضا ترجمتنا لحياة الطوسى ، وهى ملحقة بالكتاب .

والأخلاق والنصائح ، باللغة العربية ، فوقع الكتاب موقع الإعجاب من الحاكم ، وأشار على الطوسى الذى كان ملازما له وقتذاك بترجمته إلى اللسان الفارسى،فقام بترجمة الرسالة الأولى من الكتاب ، وهى التى ألفها ابن المقفع فى تأديب ولده ، وتعليمه ، وأسماها «الأدب الوجيز للولد الصغير» كما يصرح بذلك المترجم فى مقدمته .

وظهرت هذه الترجمة إلى اللغة الفارسية بأسلوب بديع ، وقد احتذى فيها المترجم (الطوسى) حذو ابى المعالى[1] مترجم كليلة ودمنة إلى اللغة الفارسية المعروف بكليلة ودمنة بهرامشاهى [2] ، فقد سلك فى الترجمة طريقة

---

(١) هو نصر الله بن محمد بن عبد الحميد المنشى‌ء (المشرف) ، وقد كان معاصرا ليمين الدولة بهرامشاه الغزنوى ، وكان أصله من شيراز كما يحدثنا بذلك أمين احمد الرازى صاحب كتاب « تذكرة هفت اقليم » ولكن مؤلف كتاب « تاريخ الوصاف » الأديب عبد الله بن فضل الله الشيرازى يقول : ان أصله من غزنين ، وقد وصل إلى منصب الوزارة فى عهد خسرو ملك بن خسرو شاه الغزنوى (تاريخ الوصاف ص ٥٢٨ طبعة بمباى) وتاريخ وفاته وقع بين عام ٥٥٥ وعام ٥٨٣ هـ (طبقات الناصرى ص ٢٦ طبعة كلكته) ، وراجع أيضا مقدمة عبد العظيم قريب أستاذ الأدب الفارسى بجامعة طهران لكليلة ودمنة ترجمة أبى المعالى .

(٢) هو يمين الدولة بهرامشاه الغزنوى التاسع عشر من الملوك الغزنويين ، وتاريخ وفاته حسب قول ابن الأثير وصاحب طبقات الناصرى هو عام (٥٤٨هـ) وقد خلفه على العرش ابنه خسرو شاه ، وقد مات فى عام ٥٥٥ هـ ثم تولى الحكم من بعده ابنه خسر وملك وهو آخر الملوك الغزنويين ، وقد أسر فى لاهور بيد الغوريين ، وانقرضت بذلك الدولة الغزنوية وتاريخ وفاته كان عام (٥٨٧ هـ) (الأسرات الحاكمة ج ٢ ص ٤١٧) ؛ وحيث إن بهرامشاه قد أشار على أبى المعالى بإتمام ترجمة كليلة ودمنة اشتهرت بكليلة ودمنة بهرامشاهى .

البسط،والتفصيل ، وأورد أبياتاً فارسية وعربية تشابهأو تتفق مع الأبيات التي أوردهاأبو المعالي في ترجمته لكليلة ودمنه،ومن الشواهد التي تدل على أن المترجم لم يكن مقيدا من ناحية الزيادة والنقصان : قصة أبي العيناء الشاعر[1] وعبد الله بن طاهر والي خراسان[2] ، إذ أنه من المسلم أن هذه القصة ليست لابن المقفع لأنها وقعت في أيام إمارة عبد الله بن طاهر (٢٣٠ — ٢٤٨ ﻫ) وكان ابن المقفع قد قتل قبل ذلك بزمن طويل أي في حدود عام (١٤٣ ﻫ) ثم ظلت هذه الترجمة مخطوطة حتى وقعت نسخة من هذه الرسالة للمرحوم عبد الرحيم الخلخالي (وهو أحد المحققين ، والناشرين ، في طهران المتوفى سنة ١٣٦٠ ﻫ) فأخذ يبحث عن نسخة أخرى من هذه الرســـالة فوجد نسخة خطية لدى المرحوم ملك الشعراء بهار[3] فقام بمقابلة النسختين

---

(٢) هو محمد بن القاسم بن خلاد وكان شاعرا فصيحا بليغاً وعمي في آخر عمره وتوفي سنة نيف وثمانين ومائتين من الهجرة (الفهرست لابن النديم ص١٢٥) .

(٣) هو أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق ابن هامان الخزاعي .. كان والياً على خراسان من قبل المأمون ومات بمرو سنة ثمان وعشرين ومائتين من الهجرة (وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢ ص ٢٧١ طبعة القاهرة) .

(٤) هو محمد تقي بهار الملقب بملك الشعراء ،ولد بمدينة مشهد عام (١٣٠٥ ﻫ) وهي محافظة خراسان المقاطعة الشرقية في إيران وفيها ضريح الامام علي بن موسى ابن جعفر الملقب بالرضا وهو الإمام الثامن للشيعة الامامية ـ ويعد بهار بعد الشاعر الإيراني « الجامي » من أعظم الشعراء الإيرانيين في عصره وكان أستاذ الأدب بجامعة طهران ، وشغل منصب وزير وزارة التربية والتعليم في دولة قوام السلطنة كما عين أكثر من مرة نائباً في (البرلمان) . ومن أهم مؤلفاته كتاب «سبك شناسي» أو تطور النثر الفارسي ، في ثلاثة أجزاء ، نشره عام ١٣٦١ ﻫ» .

الخطيتين إحداهما على الأخرى ، وأوضح معانيها ، وشرح بعض غريبها ، وترك البعض الآخر كما هو دون شرح لغموضه .

ثم وكل إلى المرحوم عباس اقبال [١] ليكتب دراسة عن الرسالة ، ومؤلفها ، ومترجمها ، وليحقق صحة نسبة اصلها إلى ابن المقفع ، وصحة نسبة الترجمة إلى الطوسى ، وقد استدل الاستاذ عباس اقبال على صحة نسبة الترجمة إلى نصير الدين بمقارنة مقدمة المترجم فى هذه الرسالة بمقدمة كتابه « اخلاق ناصرى » ، وكانت نتيجة المقارنة التى خلص اليها عباس اقبال هى انهما (اخلاق ناصرى — ترجمة الأدب الوجيز) أثران لكاتب واحد . وأما فى موضوع نسبة الأصل إلى ابن المقفع فيقف الأستاذ منه موقف الحياد بما سنناقشهُ قريبا ... ثم طبعت هذه الرسالة بلغتها الفارسية وبتصدير من الناشر ، وتقديم من عباس اقبال فى طهران عام (١٣٥٢ هـ/١٩٣٤ م) .

وحتى اليوم فإن اللغة العربية لم يرد اليها تراثها المفقود ، بل إن الباحثين العرب لم يشيروا من قريب ، ولا من بعيد ، إلى هذه الرسالة .

واليوم أقوم لأول مرة بترجمة هذه الرسالة من الفارسية إلى العربية التى سوف تعتز ولا شك بها ، وتقول بلسان عربى : « هذه بضاعتنا ردت إلينا » . . وكان قد بعثها لى من طهران الأديب الجليل السيد مختار پوروالى الذى شملنى بعطفه وأبوته ورعايته .

ويرجع الفضل فى ترجمتى لهذه الرسالة إلى الأستاذ الكبير الدكتور يحي الخشاب أستاذ كرسى الأدب الفارسى بجامعة القاهرة ، ومدير الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، إذ أشار على بترجمتها إلى العربية حتى يتسنى

---

(١) انظر ترجمة حياته التى أوردناها فى آخر الكتاب .

للباحثين العرب دراستها والتحقق من صحة نسبتها إلى كاتبنا عبدالله بن المقفع ، كما أود أن أسجل شكرى لصديق الدكتور أمين عبد المجيد بدوى على معاونته لى فى ترجمة نص الرسالة الفارسى وتقويم اسلوبها العربى .

وقد راعيت فى الترجمة المحافظة على الأصل بقدر الامكان ، والابقاء على الألفاظ العربية المستعملة فى النص الفارسى ، وذلك للاقتراب بالترجمة العربية من صورتها الأصلية الأولى ، واستعنت للوصول الى هذه الغاية بالرجوع الى الكتب الأدبية الباقية لابن المقفع ، وهى : كليلة ودمنة ، والأدب الصغير ، والأدب الكبير ، وغيرها ؛ والى ما نقل عنه المؤرخون القدامى فى كتبهم ومؤلفاتهم من نصوص أدبية منسوبة لابن المقفع للتشبع بأسلوبها ، وعباراتها .. كما لاحظت اثناء الترجمة ان فى النص الفارسى اخطاء لغوية ، وابياتا محرفة ، وغير مستقيمة الوزن والمعنى . فأصلحت كل ذلك مستأنسا بشتى المصادر .

وقد قمت بالبحث عن النص العربى لهـــذه الرسالة فى دار الكتب المصرية ، ومعهد المخطوطات لجامعة الدول العربية ، وغيرهما من المكتبات العربية ، والاجنبية ، ولكن سعيى باء بالفشل اذ لم أعثر على أثر لهذا النص المفقود .

— ٢ —

ولا غرو أن تراث عبد الله بن المقفع جدير من الباحثين والقارئين بكل اجلال ، وتقدير ، واهتمام ومن أجل ذلك كان ابن المقفع موضوع رسالتى التى قدمتها إلى كلية الآداب بجامعة القاهرة لنيل درجة الماجستير .

وقد أشرت فى مستهل الحديث إلى أن الاستاذ عباس اقبال يذهب فى

نسبة هذا الكتاب إلى ابن المقفع مذهب الحياد [١] ولكنى أرى أن الكتاب من تأليف ابن المقفع نفسه إذ توجد فيه نصوص كثيرة هى بنصها مقتبسة من الأدب الصغير ، ومن كليلة ودمنة ، بحيث لا يبقى مجال للشك فى صحة نسبة الكتاب إلى ابن المقفع ، ومن مثل ذلك قوله فى الأدب الصغير : « فإذا افتقر الرجل اتهمه من كان له مؤتمنا ، وأساء به الظن من كان يظن به حسنا ، فإذا أذنب غيره ظنوه ، وكان للتهمة وسوء الظن موضعا . وليس من خلة هى للغنى مدح الاهى للفقير عيب ، فإن كان شجاعاً سمى اهوج ، وإن كان جوادا سمى مفسدا ، وإن كان حليما سمى ضعيفا ، وإن كان وقورا سمى بليدا ، وإن كان لسنا سمى مهذارا ، وإن كان صموتا سمى عييا [٢] » .

وهذه الفقرة بعينها قد جاءت فى رسالة « الأدب الوجيز » ، ونصها الفارسى هو كما يلى : —

« أى پسر — بدانكه هركه درويش شود ناصحان أورا متهم كنند ،

---

(١) يذكر الأستاذ عباس فى مقدمته : « ان هذه الرسالة ربما تكون أثرا من آثار ابن المقفع تختلف عن رسالة الأدب الصغير المنسوبة له ، وربما تكون قد ضمت إلى مجموعة من رسائله لتشابهها جميعاً فى الحكم والأمثال والأسلوب ، فظن أنها لابن المقفع » ، ولا شك أنه انتحل على ابن المقفع بعض الآثار التى نسبها الناس إليه وجعلوها على نمط أسلوبه ، وتفكيره ، ويروى لنا التاريخ عن الجاحظ ، أنه كان يؤلف الكتاب الكثير المعانى ، الحسن النظم ، فينسبه إلى نفسه ، فلا يرى الاسماع تصغى إليه ، ولا الارادات تتيمم نحوه ، ثم يؤلف ما هو أنقص منه مرتبة ، وأقل فائدة ، وينحله عبد الله بن المقفع أو سهل بن هارون أو غيرهما من المتقدمين ، ومن قد سارت أسماؤهم من المصنفين ، فيقبلون عليها ، ويسارعون فى نسخها ، لا لشىء إلا لنسبتها إلى المتقدمين . (انظر مقدمة الجاحظ لكتابه « المحاسن والاضداد » .

(٢) الأدب الصغير ص ٧١ — ٧٢ تحقيق أحمد زكى .

ودوستان راظن درحق أو بدشود ، وگناه ، وجريمت أو مستور . ومخفى ندار ندكه درويش محل تهمت ، وسوء ظن باشد ، ومردمان شجاعت درويش را بحماقت نام برند ، وسخاوت أورا براسراف وى حمل كنند وحلم أورا ضعف پندارند ، ووقار ، وثبات أورا بلادت شمارند ، وفصاحت ، وذلاقت أورا هذر ، وهذيان خوانند ، وكم سنخنى وخاموشى أورا گنـگى ، وبسة زبانى دانند [١] » .

وترجمة هذا النص بالعربية كما اثبتناه فى هذه الطبعة هى :

أى بنى ، اعلم أن الفقير يتهمه الناصحون ، ويسوء به ظن الأصدقاء ، ولا يستترون ولا يخفون اثمه وجريمته ، فإن الفقير موضع التهمة ، وسوء الظن ، والناس يسمون شجاعة الفقير حمقا ، ويحملون جوده على الاسراف ، ويخالون حلمه ضعفا ، ويعدون وقاره وثباته بلادة ، ويدعون فصاحته هذرا ، ويعتبرون صمته بكما وعيا .

وقد وردت هذه الفقرة أيضا فى كليلة ودمنة ، يقول ابن المقفع « وجدت الرجل إذا افتقر اتهمه من كان له مؤتمنا ، وأساء به الظن من كان يظن فيه حسنا ، فإن أذنب غيره كان هو للتهمة موضعا ؛ وليس من خلة هى للغنى مدح إلا وهى للفقير ذم ، فإن كان شجاعاً قيل اهوج ، وإن كان جوادا سمى مفسدا ، وإن كان حليما سمى ضعيفا ، وإن كان وقورا سمى بليدا ، وإن كان لسنا سمى مهذارا ، وإن كان صموتا سمى عييا [٢] » .

---

(١) الأدب الوجيز للولد الصغير ص ٥٤ تحقيق عباس اقبال .

(٢) كليلة ودمنة نسخة الأب شيخو (ص ١٣٥) . وقد ترجم أبو المعالى هذه الفقرة إلى الفارسية بقوله : « هركه اورا ـ درويش ـ أمين شمردى در معرض تهمت وخيانتش آرد ، وگمانهاى دوستان درحق او معكوس گردد وبگناه ديگران مأخوذ شود وهر كلمتى ، وعبارتى كه توانگرى را مدح است درويش را نكوهش =

فالاتفاق الذى نلمسه فى النصين العربى والفارسى لهذه الفقرة دليل قاطع على انهما لمؤلف واحد ، إذ لو كانت العبارة التى وردت فى (الأدب الوجيز) مقتبسة من كلام ابن المقفع لحسب لأشار مؤلف « الأدب الوجيز » إلى صاحب هذه العبارة — ابن المقفع — وكاتبها الذى اقتبسها من أدبه ، ولا سيما أن ابن المقفع متقدم جدا ، ويعدّ من الكتاب الأوائل ، وكتابه « الأدب الصغير » كان مشهوراً ذائعاً فى الأوساط الأدبية والشعبية ، وليس من المعقول أن يعمد مؤلف آخر إلى كلام مشهور لإمام من أئمة الأدب فينسبه لنفسه . على أن روح الرسالة ، وأسلوبها ظاهرة فيهما روح ابن المقفع وأسلوبه ، إلى غير ذلك من الأدلة التى تؤكد ماذهبنا إليه .

— ٣ —

وقد أثار الأستاذ عباس اقبال الشك فى اسم الكتاب ، ووجه تسميته ؛ هل هو من وضع ابن المقفع أو هو من وضع الآخرين ، وخلاصة ما استدل به عباس اقبال على صحة الشك فى عنوان الكتاب هى : —

أولا : (١) أنه يستبعد أن يكون ابن المقفع قد كتب لابن صغير مثل هذه المطالب العالية .

= است اگر درويش دلير باشد برحمق حمل كنند واگر سخاوت ورزد براسراف واگر درحلم كوشد آنرا ازضعف شمرند واگر بوقار گرايد كاهلى واگر زبان آورى كند وفصاحت دارد بسيار گوى نام كنند واگر بمأمن خاموش گريزد مفحمش خوانند » (كليلة ودمنة ترجمة أبو المعالى ص ١٥٥ تحقيق الأستاذ عبد العظيم قريب) . . وبالمقارنة بين الترجمتين الفارسيتين لهذه الفقرة نجد أن كلا من أبى المعالى نصر الله ، ونصير الدين الطوسى ، يتصرفان فى النص العربى ولا يقيدان أنفسهما بالترجمة الدقيقة الحرفية .

(ب) وأن يكون قد وضع لها عنوانا بهذا القصور ،

(حـ) خاصة وأن وضع عنوان كهذا العنوان لم يكن متعارفا فى تلك الأيام.

ثانيا : أنه يستبعد أن يسمى ابن المقفع كتابين له فى موضوع واحد بمثل هذه العناوين المتقاربة ، الأدب الوجيز — الأدب الصغير .

هذا ما استدل به عباس اقبال على صحة الشك فى تسمية الكتاب ، ونحن الآن نبدى الرأى القاطع فى هذا الموضوع بمناقشة هذين الدليلين .

أما الدليل الأول :

(ا) فإنه لاشك أن ابن المقفع لم يكن يقصد بهذه الوصايا ولدا صغيرا السن إنما يقصد صغيرا فى التجربة والخبرة ، كما أن هناك رأيا آخر يقول: إن « الصغير » محرّف « العزيز »[1] .

(ب) على أنه توجد هناك عناوين كهذا لبعض الكتب الفهلوية والعربية فى القرن الأول والثانى الهجرى مثل كتاب (زادان فرخ فى تأديب ابنه[2]) . و « وصايا[3] أمير المؤمنين على ابن أبى طالب عليه

---

(١) راجع كتاب « سبك شناسى » ج ٣ ص ١٥٩ تأليف الأستاذ ملك الشعراء بهار .

(٢) هو من الكتب الفهلوية التى أوردها ابن النديم فى كتابه الفهرست (٣١٥) ضمن كتب الآداب والحكم والمواعظ الفارسية ، ولا يستبعد الأستاذ عباس اقبال أن تكون رسالة « الأدب الوجيز » هى ترجمة كتاب « زادان فرخ » الذى قام بنقله من الفهلوية إلى العربية ، ولما كان ابن المقفع يصدر كل فصل من فصول هذه الرسالة بقوله « يابنى » توهم الآخرون ان الرسالة من تأليف ابن المقفع لا من ترجمته .

(٣) نقصد بـ « الوصايا » الموعظة ، والنصيحة ، وهى تقابل بالفارسية « اندرز » و « پند » .

السلام لولديه الحسن، والحسين[١] » . و « وصايا أبي حنيفة النعمان بن ثابت لابنه حماد[٢] » . كما توجد أيضا فى القرن الخامس الهجرى كتب ألفت بالفارسية ، والعربية فى تأديب الابن ، وهى فى مطالب عظيمة لا يستغنى عنها حتى الكبار ، والشيوخ ، مثل رسالة « أيها الولد » للامام الغزالى و « قابوسنامه » للأمير عنصر المعالى فى نصيحة ابنه گيلانشاه[٣] .

(ح) وأما قول عباس اقبال : « ان مثل هذا العنوان لم يكن متعارفا فى القرن الثانى الهجرى » فنحن معه فى ذلك إذ أن السجع الذى نجده فى

---

(١) توجد منها رسالتان مخطوطتان بدار الكتب المصرية فى قسم مجاميع طلعت (عدد ٧٦٠ ورقة ١٤١ و ٢١٩) ويرجع تاريخ نسخهما إلى عام (١١٥٤ هـ): إحداهما نصائح موجهة إلى الحسن بن على جاء فيها : « يابنى جانب هواك ، وأهل الأهواء ، وجانب الشر ، وأهل الشر ، وجانب الحمقاء وإن كانوا مقرنين » (ورقة ١٤١) وهى تختلف عن الوصايا التى وردت فى « نهج البلاغة » وهى موجهة إلى الحسن بن على وان تشابها فى الأسلوب والتعبير (انظر نهج البلاغة ج ٥ ص ٨٦٧ — ٩٣٠ طبعة طهران عام ١٣٧٠ هـ ترجمة على نقى فيض الاسلام) . والثانية نصائح موجهة إلى الحسين بن على وجاء فيها : اعلم يابنى أنه من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ، يابنى كم من نظرة جلبت حسرة ، ومن تورط فى الأمور من غيره نظار فى الصواب فقد تعرض لمقدمات النوائب ، وكفاك أدباً لنفسك ما كرهته من غيرك (ورقة ٢١٩) ، وهى تختلف عن الرسالة الأولى فى مطلعها تمام الاختلاف ولكن النصف الأخير لكل منهما يتفقان فى العبارة ، والمعنى .

(٢) توجد نسخة مخطوطة من هذه الرسالة بدار الكتب فى قسم مجاميع طلعت (عدد ٢٢٠) جاء فى أولها : « يابنى ارشدك الله ، وأيدك .. وأوصيك بوصايا ، إن حفظت ، وحافظت عليها ، رجوت لك السعادة فى دينك ، ودنياك » .

(٣) نقله إلى العربية الأستاذ صادق نشأت ، والدكتور أمين عبد المجيد بدوى ، وطبع بالقاهرة عام ١٩٥٨ .

العنوان ليس من طابع عصر ابن المقفع ، ومن هنا يقوى الظن بأن الناسخين هم الذين أضافوا الجزء الأخير من عنوان الرسالة « للولد الصغير » باعتبار أن الرسالة كانت موجهة إلى الابن .

أما الدليل الثانى :

فانه لا يؤدى إلى المطلوب إذ لو جاز هذا الشك لقيل أيضاً فى الأدب الصغير ، والأدب الكبير ، إذ أنهما فى موضوع واحد ، ونحن نعلم أن ألفاظ « الصغير » ، « والكبير » ، « والوجيز » ليست صفات للأدب ، وإنما هى صفات للكتاب المقدر فلا يوصف الأدب (تهذيب النفس) لا بالكبير ، ولا ، بالصغير ، ولا بالوجيز ، فكل من الكتب الثلاثة مسمى بالأدب فقط .

— ٤ —

وأخيرا أحمد الله على توفيقه ، وأسأله أن يعم النفع بهذا العمل المتواضع الذى قمت به خدمة للعربية ، وآدابها الرفيعة ، ولتراث أحد مشاهيرها ، وهو عبد الله بن المقفع ، حكيم العرب ، والفرس ، وأرجو أن أكون قد وفقت فى تلك المحاولة إلى الصواب . والله ولى التوفيق .... وهو نعم المولى ونعم النصير . . . .

محمد غفرانى الخراسانى

مقدمة الرسالة

التى كتبها المرحوم عباس إقبال

أستاذ التاريخ والأدب الفارسى بجامعة طهران

للطبعة الفارسية للرسالة

الديباجة

الرسالة الحاضرة ، التى سميت فى المقدمة « الأدب الوجيز للولد الصغير » رسالة نفيسة ترجمت كما يبدو بأسلوب بديع فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى ، من العربية إلى الفارسية ، ومبلغ علمنا أن الأصل العربى قد فقد .

ورسالة « الأدب الوجيز » كما ذكر مترجم هذه النسخة فى مقدمته كانت جزءا من مجموعة رسائل عربية منسوبة إلى المنشئ الايرانى البليغ « داذبه ابن داذ جشنس » أى عبد الله بن المقفع الفارسى من بلغاء الطراز الأول فى عصره وإمام أساتذة الانشاء فى اللغة العربية .

والترجمات التى نقلت من الفهلوية إلى العربية بقلمه والرسائل التى كتبها بهذه اللغة هى باجماع نقاد الكلام من أثمن الجواهر التى صارت حلية فى جيد الأدب العربى .

أما فيما يتعلق بكون رسالة الأدب الوجيز لابن المقفع أو كونها من جملة الرسائل التى كتبها المنشئون الآخرون مقلدين مؤلفات هذا المنشىء الفاضل الذى نال إعجاب الجماهير فلا نستطيع أن نقول شيئا نفيا أو إثباتا ، لأنه أولا لم يذكر فى فهرس مترجمات ومولفات ابن المقفع رسالة خاصة باسم « الأدب الوجيز » ، ومايذكره عنه ابن النديم فى كتابه « الفهرست » فى باب الأدب أو الآداب — وهى ترجمة حرفية لكلمة « آئين » الفارسية — أربعة كتب أو رسائل كما يلى . —

١ — الآداب الكبير .

٢ — الأدب الصغير .

٣ — اليتيمة فى الرسائل .

٤ — آئين نامة (كتاب الرسوم) أو الآداب .

آئين نامه الذى أسماه المؤلفون العرب مثل ابن قتيبة والثعالبى

والمسعودى والجاحظ «كتاب الآئين» وترجموه، كان كتابا كبيرا شاملا لجميع آداب الفرس القدامى ورسوم ملوكهم فى قيادة الجيوش والرماية ولعب الكرة والصولجان والتفاؤل والتطير والسياسة وغير ذلك، وفى مؤلفات الكتاب المذكورين آنفا نقول كثيرة باقية منه، وكتاب الآداب الكبير الذى فى أيدينا طبع مرارا وقد نقل كثير عن هذا الكتاب الذى كان يقال له اختصارا (آداب ابن المقفع) مؤلفون قدامى من جملتهم ابن قتيبة فى كتابه (عيون الأخبار) وأبو على بن مسكويه فى كتابه (آداب العرب والفرس والروم)[1] وخواجه نصير الدين الطوسى فى كتاب (أخلاق ناصرى)..وأغلب الفقرات التى نقلها هؤلاء المؤلفون توجد فى النسخة الموجودة من «الآداب الكبير».

وقد ذكر كتاب ابن المقفع هذا فى جميع المصادر القديمة، مثل كتاب الفهرست لابن النديم وكتاب عيون الأخبار لابن قتيبة وكتاب أخلاق ناصرى للخواجه نصير الدين الطوسى باسم «الآداب» بصيغة الجمع وصفة «الكبير» موجودة فى الفهرست فقط.. وفضلاء مصر والشام المتأخرون الذين حصلوا على كتاب ابن المقفع هذا لأول مرة وطبعوه أسموه أيضا «الأدب الكبير» بصيغة المفرد — وذلك بقرينة «الأدب الصغير»، وبهذا العنوان طبع الكتاب وتدوول بين الناس حال كون القدماء كتبوا اسم هذه الرسالة «الآداب فقط».

وقد طبعت رسالة جديدة أخرى أيضا لابن المقفع فى الشام ومصر باسم «الأدب الصغير»، ولما كان كاتب هذه السطور فيما انتهى اليه بحثه لم يصادف فى كتب القدماء نصوصا صريحة منقولة عن الأدب الصغير

---

(١) المترجم — وكذلك فى كتابه «جاويدان خرد» وقد طبعه أحمد زكى باشا فى مصر بعنوان «الحكمة الخالدة».

حتى يقارنها بنص هذه الرسالة فإننى لا أستطيع أن أجزم بأن الرسالة التى طبعت فى مصر والشام باسم «الأدب الصغير» هى عين الرسالة التى ذكرها ابن النديم لابن المقفع أو هى رسالة أخرى .

ويبدو أنه لم يبق أثر من يتيمة ابن المقفع التى كانت عماد شهرة هذا الكاتب البارع ، وكان يعدها كبار أهل الفصاحة من أركان البلاغة العربية والرسائل التى لا نظير لها ، والذين تصوروا أن «اليتيمة» هى نفس (آداب ابن المقفع) قد أخطأوا بأدلة لا محل هنا لذكرها وأهم هذه الأدلة هى :

أولا : أن ابن النديم يذكر اسم كل من هذين الكتابين على حدة .

ثانيا : أن ما نقله الآخرون مثل الثعالبى وابن قتيبة وأبو على ابن مسكويه وصاحب «تاج العروس» وغيرهم من كتاب «اليتيمة» ، ليس فى كتاب (الآداب) المطبوع ،وخصوصا هذه الفقرة التى صرح بها أبو على بن مسكويه وصاحب «تاج العروس» ، وهى أن ابن المقفع ذكر فى بداية «اليتيمة» أن اسمه (داذ به بن داذ جشنس) — فى حين أن جميع الفقرات المنقولة من كتاب «الآداب» موجودة اليوم فى النسخة المطبوعة .

أما النسخة (الفارسية) المطبوعة بهمة صديقى الكبير ومخدومى العزيز حضرة السيد عبد الرحيم الخلخالى (أدام الله أيام افاضاته) تلك الهمة التى لاتعرف الكلل ،وها هى ذى مهداة إلى أولى الذوق والآداب فقد سميت كما ذكر فى الديباجة (الأدب الوجيز للولد الصغير) وهى منسوبة إلى ابن المقفع .

أما فيما يتعلق بهذه الرسالة التى نجهل حتى الآن وضع تأليفها وأسلوب انشائها العربى، فهى مما لاشك فيه تختلف عن الرسالة التى طبعت باسم «الادب الصغير» .

ويمكن التدليل بسهولة على هذا بمقارنة مختصرة بين موضوع الرسالتين

وترتيبهما . ولما كنا لا نعرف على التحقيق ماذا كان أصل «الأدب الصغير» لابن المقفع ، وهل النسخة التى تحمل هذا الاسم اليوم هى نفس المؤلَّف الأصلى لذلك المنشئ البارع ، فإنا نتردد أيضا فى قبول أو رفض صحة نسبة «الأدب الوجيز» هذا لابن المقفع ، وحتى إذا فرضنا بأن كلتا الرسالتين لابن المقفع فإنه أيضا من الصعوبة بمكان أن نقبل احتمال أن يكون ابن المقفع قد أسمى كلتا الرسالتين باسم واحد لأن (الأدب الصغير) كتيب فى الأدب ، و (الأدب الوجيز) كلام موجز ومختصر فى نفس الموضوع أيضا ، وحدسى بصفة عامة هو أن عنوان « الأدب الوجيز للولد الصغير » من العناوين التى يحتمل أن يكون الكتاب والنساخ قد اخترعوها لتعريف تلك الرسالة ، ويستبعد أن يكون ابن المقفع قد كتب لابن صغير مثل هذه المطالب العالية التى لا يستغنى كذلك عن مطالعتها حتى الشيوخ المحنكون والعقلاء الكاملون ووضع لها عنوانا بهذا القصور ، خاصة وأن وضع اسم كهذا لم يكن متعارفا فى تلك الأيام

وبعد انتشار مؤلفات ابن المقفع البليغة بين المسلمين وإقبال الناس عليها لبلاغة إنشائها وجدة موضوعها وأسلوب تأليفها ؛ أصبح أسلوب ابن المقفع مثالا يحتذيه الجميع فى الكتابة،وراج تأليف الكتب وكتابة الرسائل تقليدا له رواجا فوق العادة. إلى حد أن بعض الكتاب البلغاء الذين لم يكونوا فى بداية أمرهم قد بلغوا شهرة كبيرة بعد ، قد كتبوا كتبا ورسائل ونشروها باسم ابن المقفع وكان الناس بمجرد نسبتها لابن المقفع يتسابقون إلى تداولها كما أن الجاحظ كان قد ذهب نفس هذا المذهب إلى حين ،وكان الناس أيضا حيثما وجدوا هذا النوع من الآداب والرسائل والحكم التى لم يكن معلوما أسماء كاتبيها ينسبونها لابن المقفع ، وذلك بحكم تشابه الأسلوب ولعله من الممكن أن يقال إن «رسالة الأدب الوجيز للولد الصغير» هذه أيضا من نفس نوع الرسائل المنسوبة لابن المقفع . ولما كانت قد ضمت إلى مجموعة من رسائله

ظنوا أنها لابن المقفع كذلك أو أنها رسالة أخرى من ترجمات ذلك المنشئ القدير كان أصلها يختلف عن « الأدب الصغير » .

ويذكر ابن النديم فى الفهرست (ص ٣١٥) ضمن كتب آداب وحكم ومواعظ الإيرانيين والروم والهند والعرب كتابا باسم (كتاب زادان فرخ فى تأديب ابنه) ،ويحتمل أن يكون (الأدب الوجيز) هو نفس هذا الكتاب الذى نقله ابن المقفع من الفهلوية إلى العربية ، ولما كان المؤلف فى بداية كل فصل منه يخاطب ابنه فقد توهم الآخرون أن ابن المقفع قد كتبه مخاطبا ابنه خاصة ، وعلى أى حال سواء أكان هـــذا الكتاب لابن المقفع أو لأشخاص آخرين وضعوا أصله العربى مقلدين له فإنه من ناحية أسلوب التأليف وحتى فى بعض المواضع من ناحية المضمون والعبارة لا يخلو من شبه بآداب ابن المقفع وحكمه ومطالبه العالية ، بما هو وليد فكر نابغة من أذكى أهل زمانه كابن المقفع ، وصياغة قلم ساحر شبيه ببراعة ناثر الدّر .

والشخص الذى باشارته وأمره نقل (الأدب الوجيز) إلى الفارسية وأسماه المترجم فى الديباجة (ناصر الدين عبد الرحيم بن أبى منصور) هو بلا شك نفس (ناصر الدين أبى الفتح عبد الرحيم بن أبى منصور) رئيس قهستان [1] الذى عاش العـــلامة أستاذ البشر نصير الدين محمد ابن حسن الطوسى مدة فى بلاطه وأنشأ كتاب (أخلاق ناصرى) قبل تاريخ ٦٥٣هـ بإشارته وفى المقدمة الأولى لهذا الكتاب ذكر أيضا اسم زعيم الاسماعيليين الإيرانيين عامة علاء الدين محمد بن حسن (٦١٨ — ٦٩٣ هـ) الخليفة السابع لحسن الصباح :

---

(١) قوهستان تعريب كوهستان الفارسية ومعناها بلاد الجبل وتقع بين هراة ونيسابور — معجم البلدان الجزء السابع ص ١٨٧ . وقد يستعمل (كوه) بالتخفيف ويقال : (كه) بضم الكاف وسكون الهاء الملفوظة .

وكان ناصر الدين زعيم « قهستان » رجلا كريما فاضلا محبا للفضل ، وكان الطوسى يعيش فى « طوس » وقد طبق صيت شهرته الآفاق فاستدعاه من تلك المدينة إلى حضرته وأعزه وبجله .

ويظهر أنه بسبب مشرب ناصر الدين الفلسفى من جهة وقرابة عقائد الشيعة الاسماعيلية من عقائد (الشيعة) الإمامية من جهة أخرى ، قبل الطوسى خدمة الاسماعيلية ، وعاش فى بلاط ناصر الدين الذى كان خاضعاً لحكم مولاه علاء الدين محمد الاسماعيلى ، ومن المشهور أن الطوسى فى مدة إقامته بقهستان بعث ذات يوم بقصيدة عربية فى مدح الخليفة المستعصم إلى بغداد فتكدر ابن العلقمى الوزير من هذا العمل وأفضى به إلى ناصر الدين . وحينما كان ناصر الدين فى طريقه إلى قلعة (ألموت)[1] لزيارة مولاه علاء الدين صحب الطوسى وحمله إلى القلعة وبقى الطوسى فى بلاط علاء الدين قهراً واضطراراً ، وعندما تولى رياسة الاسماعيلية ركن الدين خورشاه كان يعيش عنده فى (ميمون دز) من قلاع « رودبار الموت[2] » حتى نزل يوم الأحد أول ذى القعدة سنة ٦٥٤هـ من تلك القلعة مع خورشاه واستسلم لهولاكو ، وصار من ذلك التاريخ من ملازمى أيلخان المغولى . .

وقد حمل ناصر الدين — الذى كان ذا ميل مفرط إلى مطالعة كتب

---

(١) « آله » كلمة فارسية صحيحة موجودة فى « البهلوية » وهى بمعنى « عقاب » « وآموت » هى احدى اللهجات المحلية فى كلمة « آمختن » ومعناه الصحيح هو « تعليم العقاب » كما أورده ابن الأثير فى ص ١١٠ من الجزء العاشر من تاريخه ، وان كان الأغلب تفسيره خطأ بمعنى « وكر النسر » (تاريخ الأدب الإيرانى تأليف ادوارد برون ترجمة الدكتور ابراهيم الشواربى ج ٢ ص ٢٥٠) .

(٢) رودبار محلة بهمذ ان خرج منها جماعة وافرة من أهل العلم والحديث . (معجم البلدان ج ٤ ص ٢٩٩) .

الآداب والحكم — الطوسى مدة إقامته بقهستان على ترجمة كتاب «الطهارة» لأبى على بن مسكويه و «زبدة الحقائق» لعين القضاة الهمدانى، وقد عمل كتاب «أخلاق ناصرى» وهو تهذيب وترجمة لكتاب «الطهارة»، ونقل «زبدة الحقائق» كذلك إلى اللغة الفارسية وحل مشكلاته، وقد سلك ذلك الأستاذ العلامة فى انشاء هذين الكتابين كليهما طريق البسط والتفصيل، ولم يقيد نفسه كثيراً بالترجمة اللفظية، عند نقل كتب المؤلفين من العربية إلى الفارسية.

وكان كاتب هـذه السطور فى الرسالة التى كتبها سنة ١٣٠٥ هـ (١٩٢٦ م) عن حياة ابن المقفع قد حدس بأنه يحتمل أن تكون ترجمة رسالة «الأدب الوجيز» أيضاً قد كتبت بقلم نصير الدين الطوسى بأمر ناصر الدين، وان لم توجد اشارة إلى هذا فى أى موضع، ولا أستطيع أن أقطع بأن مترجم هذه الرسالة هو الطوسى، ولكنى بعد تجديد المراجعة والمطالعة فى «أخلاق ناصرى» لم أعد أرى من المستبعد كثيراً نسبة انشائها إلى الطوسى، ويمكن إيراد القرائن التى تؤيد وجهة النظر هذه فيما يلى :

(ا) كان الطوسى على دراية تامة بمؤلفات ابن المقفع ويذكر فى ثنايا «أخلاق ناصرى» عبارات من كتابيه «كليلة ودمنة» وكتاب «الآداب» (أخلاق ناصرى طبعة بومباى ص ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢١١)، وقد ترجم من كتاب «الآداب» ثلاث فقرات بنصها وضمنها «أخلاق ناصرى».

(ب) بعض جمل وعبارات مقدمة «الأدب الوجيز» هو عين جمل وعبارات مقدمتى «أخلاق ناصرى»، ونحن نشير على سبيل المثال إلى قسمين أو ثلاث منها :

مقدمة الأدب الوجيز

١ — در مجلس عالى ناصر الدين عبد الرحيم أبى منصور ذكر آداب نفس ومكارم خلق رفتى .

الترجمة : كان يجرى بالمجلس العالى لناصر الدين عبد الرحيم أبى منصور ذكر آداب النفس ومكارم الخلق .

٢ — سوى أين دعا گوى به ترجمه آن رسائل أزلغت عربى بزبان فارسى اشارتى رفت .

الترجمة : فأشير على هذا الداعى بترجمة تلك الرسائل من اللغة العربية إلى اللسان الفارسى .

٣ — كه مگر متأملان وبعض أهل عصر راز مطالعه فارسى تفهم معانى واقتباس غرض آسانتر باشد .

الترجمة : لعل تفهم المعانى واقتباس الأغراض من المطالعة الفارسية يكون أيسر على المتأملين وبعض أهل العصر .

٤ — أين دعا گوى . . . . انقياد وامتثال نمودبرقدر استطاعت ،

الترجمة : فانقاد هذا الداعى . . . . وامتثل على قدر استطاعته ....[1]

---

(١) نقلا من مقدمة الأدب الوجيز للطوسى .

المقدمة الأولى

١ — در حضرت بزرگوار این شهریار ذکری می رفت .

الترجمة : كان يجرى حديث فى الحضرة العظمى للملك .

٢ — با این بنده هوا دار خطاب رفت که این کتاب نفیس را به تبدیل کسوت ألفاظ و نقل از زبان تازی به زبان فارسی تجدید ذکری باید کرد.

الترجمة : وقيل لهذا العبد المحب (المخلص) إن من الواجب تجديد ذكرى هذا الكتاب بتبديل كسوة ألفاظه ونقـــله من اللسان العربى إلى اللسان الفارسى .

٣ — چه أگر اهل این روزگار که بیشتر از حلیه أدب عاليند از مطالعه جواهر چنان دفتری بزینت فضیلتی حالی شوند احیاء خیری بود.

الترجمة : فلعل أهل هذا الزمن وهم على الأكثر عاطلون من حلية الأدب بمطالعتهم جواهر كتاب كهذا يتحلون بزينة الفضيلة ويكون فى هذا إحياء للخير .

٤ — ضعیف خواست که بر سنن انقیاد برود و بامتثال مثال قیام نماید تقلد طاعت را بقدر استطاعت :

الترجمة : فأراد هذا الضعيف أن يسير على سنن الانقياد ويقوم بامتثال الأمر تقلدا للطاعة بقدر الاستطاعة[1] .

(١) نقلا عن المقدمة الأولى لكتاب « أخلاق ناصرى » .

المقدمة الثـانية

١ — در مجلس عالى ناصر الدين أبو الفتح عبد الرحيم أبى منصور در اثناى ذكرى كه ميرفت .

الترجمة : فى أثناء حديث كان يجرى بالمجلس العالى لناصر الدين أبى الفتح عبد الرحيم أبى منصور .

٢ — بمحرر اين أوراق فرمود كه اين كتاب نفيس رابه تبديل كسوت ألفاظ و نقل اززبان تازى بزبان پارسى تجديد ذكرى بايد كرد .

الترجمة : أمر محرر هذه الأوراق (قائلا) بأنه من الواجب تجديد ذكرى هذا الـكتاب النفيس بتبديل كسوة الفاظه ونقله من اللسان العربى إلى اللسان الفارسى . . .

٣ — چه أگر اهل اين روزگاركه بيشتراز حليه أدب خالييند از مطالعه جواهر چنان دفترى بزينت فضيلتى حالى شوند أحياء خيرى بود .

الترجمة : فلعل أهل هذا الزمن وهم على الأكثر عاطلون من حلية الأدب بمطالعتهم جواهر كتاب كهذا يتحلون بزينة الفضيلة ويكون فى هذا إحياء للخير .

٤ — محرر أوراق خواست أين أشاره را بانقياد تلقى نمايد تقلد طاعت بقدر أستطاعت .

الترجمة : فأراد محرر هذه الأوراق أن يتلقى هذه الاشارة بالانقياد تقلدا للطاعة بقدر الاستطاعة [1] .

---

(١) نقلا عن المقدمة الثانية لـكتاب « اخلاق ناصرى »

(ح) إن الاسلوب الانشائى الفارسى لكتاب « اخلاق ناصرى » و « الأدب الوجيز » كل منهما شبيه بالآخر وكأنهما صياغة قلم واحد مع فارق واحد وهو أن «اخلاق ناصرى» كتاب علمى و«الأدب الوجيز» كتاب أدبى وأسلوب « الأدب الوجيز » مطابق لأسلوب أبى المعالى نصر الله فى ترجمة كليلة ودمنة وبهاء الدين محمد بن حسن بن اسفنديار الكاتب فى ترجمة (نامه تنسر) .. فقد زين ترجمته بالآيات والأشعار العربية والفارسية ، ولكى يصوغ كتابته بلغة فارسية أدبية تناول مثل المترجمين السالفين مطالب أصل الكتاب وزاد فيها وصبها فى قالب العبارة الفارسية بحرية تامة .

وكان مترجم «الأدب الوجيز» يحتذى ترجمة« كليلة ودمنة » لأبى المعالى بصفة خاصة ،و بعض الأبيات التى أدخلها فيه هى عين الأبيات التى أوردها أبو المعالى فى « كليلة ودمنة بهرا مشاهى » .

ومن خير الشواهد على أن المترجم لم يكن مقيداً بأى قيد فى الترجمة والزيادة والنقصان فيها : ذكره حكاية أبى العيناء الشاعر ، وعبد الله ابن طاهر (ص ٣٠ - ٣١) إذ من المسلم انها ليست لعبد الله بن المقفع ، لأن هذه الحكاية اتفق وقوعها فى أيام إمارة عبدالله بن طاهر التى استغرقت من عام ٢٣١ إلى ٢٤٨ من الهجرة ، وكان ابن المقفع قد قتل قبل تلك الأيام بزمن طويل أى فى حدود عام ١٤٢ هـ .

ومهما كان الأمر فان رسالة «الأدب الوجيز» التى تسفر الآن من وراء نقاب الاختفاء وتمنح الأدب فى اللغة الفارسية الفصحى زينة جديدة ، هى رسالة فى نهاية سلاسة العبارة وجزالة اللفظ ، وهى من النماذج الممتازة للنثر الفارسى فى القرن السابع الهجرى . وإذا سلمنا بنسبة أصل هذه الرسالة لابن المقفع ونسبة ترجمتها إلى نصير الدين كما يظن فان معانيها ستكون ذكرى لأحد أكابر أبناء إيران البررة الجديرين بانتسابهم إليها ويكون

قالب عباراتها من آثار قلم أحد أعاظم علمائنا .

ومن الواجب أن يشجع (تداولها) بالمدارس لتعليم الدقائق العالية المتصلة بالمعاش والمعاشرة وتعليم الإنشاء الصحيح القوى وجعلها فى صف كتاب « كليلة ودمنة بهرامشاهى » وكتاب « گلستان سعدى » وتاريخ « جهانگشاى جوينى » . وبذلك تأخذ مقامها اللائق بها من الشهرة بعد أن بقيت مجهولة حتى هذا التاريخ .

مقدمة الرسالة

لنصير الدين الطوسى

(٥٩٧ — ٦٧٣ هـ)

مقدمة الرسالة

افتتاح ايراد الكلام واستنجاح المراد والمرام بحمد الله يجدى ، لأن منه ابتداء الفطرة وبه انتهاء النشأة ،لا يصل الوهم إلى غاية جلاله ، ولا يدرك الفهم نهاية كماله .

شعر :(وينسب لمحمود الوراق وهو من الرجز) :

أحمده ولا أطيق حمده   لكننى أثنى على ما أسسا

ونثار المدح والثناء — بعد حمد الخالق وذكره — جدير بذات خلاصة الموجودات وصفوة الكائنات محمد المصطفى ،فإنه المخصوص من الحق بمزية الكرامة ومنصوص عليه ختم النبوة ، عليه وعلى آله السلام .

بيت فارسى : (ترجمته)

كل إنسان اثنى ولم يكن ثناؤه عليه [1] فهو مخطئ .

* * *

أما بعد فإنه فى كل وقت كان يجرى فى المجلس العالى لناصر الدين عبد الرحيم أبى منصور — رحمه الله — ذكر آداب النفس ومكارم الخلق ، وكل من كان يسعد بشرف حضور منبع الكرم ومجمع محاسن الشيم ، كان يشير عليه باقتفاء الفضائل المختارة ، واقتناء الشمائل الحميدة .

شعر :

يمتار من رأيه نصر ومن يده رفد ومن فمه الآداب والحكم
علت مساعيه عن صدر فلا انشرحت   عن صدر حاسده بلوى ولا غمم [2]

فاتفق أن عرض أحد مشاهير الخدم بخدمة ذلك المجلس العالى ومعدن المجد والمعالى مجلد كتاب مشتمل على بضع رسائل من كلام عبد الله بن المقفع

---

(١) أى على المصطفى عليه السلام .

(٢) البيتان للمتنبي — يمتار : يؤخذ . الرفد : العطاء . الغم : الحزن . . وهما من بحر البسيط

رحمه الله تعالى مقصور على الآداب والمواعظ والاخلاق والنصائح ، فلما حظى بالرضا فى نظر المجلس العالى أشير على هذا الداعى بترجمة تلك الرسائل من اللغة العربية إلى اللسان الفارسى عله يكون أيسر على المتأملين وبعض أهل العصر تفهم معانيه واقتباس أغراضه من المطالعة الفارسية ، فانقاد هذا الداعى وامتثل مع قصور بضاعة الصناعة وقلة حلية رأس المال وجمود القريحة وخمود الذهن على قدر الاستطاعة — كما أتى لا كما ينبغى — ولما تمت ترجمة الرسالة الأولى من ذلك المجلد ، وهى التى عملها ابن المقفع فى تأديب ولده وتعليمه ، وأسماها (الأدب الوجيز للولد الصغير) ، نقلت لوقتها من السواد إلى البياض لتعرض فى خدمته ، فإذا ما شرفت بارتضاء النظر المبارك وسمحت بعد ذلك الأيام وحالف التوفيق ، شرعت إن شاء الله تعالى فى ترجمة بقية الرسائل ، وهو الموفق والمعين .

نص

رسالة الأدب الوجيز للولد الصغير

رسالة

الأدب الوجيز للولد الصغير

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا هو مبدأ الكلام وفق ترتيب ابن المقفع فى هذه الرسالة :

— ١ —

أى بنى : لما بشرنى المولى تعالى بوجودك ومنّ على بعطائك ، وقد أبلغك إلى هذه السّن والدرجة والحد والمرتبة ، بأن صرت مستعداً لقبول الأدب ، وقابلا لعدة الفضل ؛ فقد وجب على أن أؤدى شكراً للخالق عز وعلا على هذه الموهبة الهنية والعطية السنية ؛ وبمقتضى الكلام الربانى (لئن شكرتم لأزيدنكم) أطلب بأداء الشكر مزيد الاستمتاع والانتفاع ببقائك ، وأبدى نظراً شافياً وفكراً كافياً فى الاجتهاد مع نفسى وبذل المجهود من أجلك ، حتى تتعظ بأنوار آدابى وتكسب حظاً تستطيع أن تنتفع وتتمتع به فيكون ذلك حجة إشفاق أبوتى عليك وقضاء لحق بنوتك الذى أوجبه الله تعالى علىّ كأب ؛ ويكون فى المستقبل داعياً وموجباً لأن تبرّنى وتحسن إلىّ جزاء ذلك ، وتحترز وتجانب طريق العقوق والعدوان وتعمل بحكم « هل جزاء الإحسان الا الإحسان » ، وتساعدنى فى أمورى ، ولا تضن بالمعونة والمؤاتاة والمسامحة والمواساة فى كل مايسنح ويعرض . . واعلم بأنى لا أعرف أحداً وإن أدّبوه وهذبوه بالمواعظ

المتواترة والنصائح البالغة والإرشاد المحض والهداية الخالصة والتعليم بالشفقة يستطيع الانتفاع بذلك ، وتثمر وتفيدفى تخريجه تلك المواعظ والنصائح ويصير قادرا على اقتباس فوائدها واغتراف مواردها دون أن يساعده التوفيق الإلهى ويدله على قبول تلك الآداب .

شعر :

إذا لم يعنك الله فيما تريده　　فليس لمخـلوق إليه سبيل
وإن هو لم يرشدك فى كل مطلب　　ضللت ولو أن السماك دليل[1]

شعر فارسى ترجمته :

هو سبب إهـداء الأيادى ، والمهتدى النفس وهو الهـادى
كل هداية لديك - أيها الدرويش - عدها هدية من الحق ، لا من كد نفسك

وأن يكون له — فضلا عن ذلك التوفيق الربانى ، وجاذبية الفضل الإلهى — معين غرزى ومعاون فطرى من نفسه وذاته وطبيعته وجبلته ، ليعرف فضيلة الخير بتلك الوسيلة ، ويميّز بالنظر الصائب بين المرغوب الذى يحثّونه ويبعثونه عليه والمحذور الذى يرون لزوم النهى والزجر عنه .

* * *

فاعلم أن أول حق علينا لله تعالى هو أن نرعى فى أداء شكره شرط التعظيم وأن نبلغ فى حمده وثنائه غاية الاجتهاد ، لأنه محمود على كل فضل يسديه ومشكور على كل عطاء يعطيه .

---

(١) البيتان من الطويل ، وينسبان لأبى العتاهية .

شعر :

ولو كان يستغنى عن الشكر ماجد لعزة قدر أو علوّ مكان
لما أمر الله العباد بشكره فقال : اشكروا لى أيها الثقلان[1]

— ٢ —

أى بنى : إن أول شيء من آدابى وقبول قولى وحفظ وصيتى ينبغى أن يكون لك فى اكتسابه وادّخاره عناية بغير ريبة ، ورغبة صادقة.. وتبلغ غاية الوسع والمقدرة فى تتبعه وطلبه ، هو أن تجتهد فى أمر الله تعالى ، وترى لزوم مراقبة جانب الحق ، وإيثاره وترجيح رضائه على كل شيء كما قيل : « ليكن الله أول كل شيء وآخره وباطن كل شيء وظاهره ».

شعر فارسى ترجمته :

كن عبدا لجنابه ، وعش ملكا وسلطانا وكن مِلكا له ، واعمل ما شئت .

ولتثبت الإيمان [2] فى قلبك وتجعل مخافة الله ملكتك وشعارك ، فإن عناء اليوم من أجل راحة الغد قليل والمشقة العاجلة فى طلب الراحة الآجلة لا قدر لها عند أرباب العقول ، وتحمُّل المشقة فى الفانية أملا فى النعيم الباقى تبدو حقيرة فى عين صاحب الفطنة ، وكل من يخشى الله تعالى ويتقيه يبقى محروساً ومحفوظاً من العوارض والآفات ، وآمناً ومصوناً من الحوادث والبليات .

---

(١) البيتان من الطويل ، وهما لصالح بن عبد القدوس .

(٢) فى الأصل : العقل .

بيت فارسى وترجمته :

كن عبدا خالصاً لله فإنك إن أخلصت له العبودية تأمن من التعرض للشرطة نهاراً والعسس ليلا .

— ٣ —

أى بنى : لا تغتم لكل بلية تنوبك وكل رزيّة تصيبك فى الدنيا الفانية . واعلم بأن كل ما فى يدك عارية . وللعارية مستردة (وما المال إلا عاريات ودائع) وإن الله تعالى قد يسترد منك هبة يكون قد أعطاكها ليجرب بذلك صبرك . والله عز وجل يضع عملك فى ذلك المكروه على محك الامتحان والاعتبار ، فاعتصم بالصبر والثبات وتشبث بأذيال التجلد والاحتمال ولا تمل عن منهج الشكر القويم والطريق المستقيم إلى طريق الكفران ، واذكر قوله تعالى : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » .

بيت :

وعاقبة الصبر الجميل جميلة وأفضل أخلاق الرجال التجمل[1]

— ٤ —

٤ — أى بنى : إذا أوجبت على نفسك فى صغر السن وعنفوان الصبا كسب الآداب وقت بتعلمها فإنك عندما تكبر تصل إليك نتيجتها المحبوبة وثمرتها المطلوبة وتنتفع بها ، وكل من تأخذ بأذياله فكرة اكتساب

(١) فى الأصل : التفضل ، والبيت من بحر الطويل ، وينسب للبحترى

الآداب ، فلا بد من أن يبذل العناية فى طلبها ويحتمل العناء (ومن خطب الحسناء لم يغله المهر) .. وكل من يكون له فى اكتساب الآداب نشاط وهمّة ، ويقبل عليها بعزيمة صادقة يتحمل كل مشقة فى اكتسابها ، وكل من كان كذلك ظفر بحاجته وتحقق فى التعلم طلبه وصدقت فى تلك الاستفادة رغبته ، وكل من جدَّ فى طلب الأدب يجد منافعه ويستمتع بثمراته ، فاغتنم الأدب واعتبر الحرص على اكتسابه حظاً وافراً ونصيباً كاملا من سعادة البخت ومساعدة الأيام .

شعر :

وأيْنَ أطلب الدنيا فإنى أرى المسعود من رزق الطلابا
ومن أبقى لآجله حديثاً ومن عانى[1] لعاجله اكتسابا[2]

حتى تكون خلفاً صادقا بقى من سلف صالح ، ونسلا محموداً من أصل مختار ، لينسنى لراغب رجاء فى دولتك ويخشى[3] راهب من صولتك ، وتكون فى الخوف والرجاء مهيباً ومأمولا بين الأقران فيحسبون حسابك ويتوقع الخول والتبع نفعك ويؤملون فى أيامك . واعلم بأنى لم أدخر أى جهد وسعى فى تربيتك وترشيحك وإثارة آثار الخير من أجلك . وقد بلغت فى هذه المعانى غاية الاستطاعة حسبما يقضى ضميرى ، وانه لواجب

(١) فى الأصل : عاق .

(٢) البيتان من الوافر وهما للمتنبى .

(٣) الترجمة حسب الأصل : لا يخشى ، ويبدو أنه خطأ مطبعى يدل على ذلك سياق العبارة .

وفرض عليك أن تكافئنى وتجازينى إزاء تربيتى وسعيي وجزاء التوفيق الذى منّ الله عز وجل به علىّ فى الإحسان اليك وذلك بأن ترى قبول تعليم أدبى لزاماً عليك وتنقش نصائحى فى صفائح قلبك وخاطرك وتحصن وتصون نفسك وعرضك عن الملاهى والمناهى التى أعظك باجتنابها وأحذرك من ارتكابها .

— ٥ —

أى بنى : لا تحاجج الجهابذة وأهــــل العلم ولا تخاشن الحكيم ولا تجار اللجوج ولا تباحثه ، ولا تصاحب أهل التهم .

شعر فارسى وترجمته :

قلّل من مجالسة أهل السوء لأن صحبة السيء تدنسك وان كنت طاهراً ، فإن الشمس بهذا العلو تحجبها ذرّة من السحاب .

عدوى البليد الى الجليد سريعة والجمر يوضع فى الرماد فيخمد[1]

وينبغى أن يكون أصدقاؤك وأصحابك وأقرانك وجلساؤك الذين تستعين بهم فى الأمور وتسلك معهم طريق المخالطة والمخالصة وتتخذ معهم قاعدة المصادقة والموافقة أهل عفاف ومروءة وسداد وفتوّة ، ليكون منهل مصافاتهم مصفًى من شوائب المداجاة ، فإذا وجدوا منك منفعة شكروك عليها واذا نالك منهم نفع لا يرون لأنفسهم بذلك حقاً ثابتاً

(١) البيت من الكامل ، والبليد : الجبان ، والجليد : الشجاع . وينسب لأبى تمام .

فى ذمتك ولا يطوّقون عنقك بمنة بحيث اذا ما وقع من قبلك تأخر فى مجازاتها ازدادوا منّا ، بل تبقى صداقتهم بغير ريبة ومحبتهم مبرأة ومعراة من دواعى الطمع ووسائط الغرض ، كما قال المتنبى - من الطويل - :

أحبك يا شمس الزمان وبدره　　وإن لامنى فيك السهى والفراقد
فذاك لأن الفضل عندك باهر　　وليس لأن العيش عندك بارد

— ٦ —

أى بنى : إذا غُلبت مرّة فى الأمور الدنيوية فينبغى أن لا تغبن ولا تغلب بأى حال فى أمر الآخرة . واعلم أن ما يكون من رزقك لا يستطيع أن يحوله عنك أحد والمقدور الذى سيصل إليك بحكم الأزل لا يمكن لأى مخلوق دفعه عنك .

بيت فارسى وترجمته :

إن العقل وهو درع قوى للإنسان لا يستطيع أن يقى صاحبه إذا ما انطلق السهم من مرمى قوس القضاء والقدر .

وإياك أن تجدّ وتجتهد فى اكتساب السعادة الدنيوية وطلابها ، وتيقن أنه إذا كان حظك من الدنيا قليلا ، فإن أحداً لا يستطيع زيادته واذا كان كثيراً فلا يتسنى لمخلوق نقصانه .

شعر فارسى وترجمته :

حيث ليس بأيدينا شىء من الحل والعقد فعلينا اذا أن نرضى بحلو العيش ومرّه .

لأنه يمكن العيش تحت القبة الخضراء كما يقضى قضاء القبة الخضراء[1] .

وكل ما سيصل اليك من ذلك لا يمكن للغير منعه ودفعه وتبديله وتحويله عنك ، واذا فاتك منه شيء فإن ردّه وصرفه يكون ممتنعاً وغير مستطاع ، والفائت لا يستدرك .

— ٧ —

أى بنى : عين من أوقات عمرك أوقاتا موقوتة وساعات لاحراز ذخيرة الآخرة واكثار رأس مال السعادة واصلاح ما يكون مقصدك ومقصودك وميعادك وموعودك من أمر المعاد الذى لا بد لأمثالك من بلوغه ، ولا معدى عن وصوله ، حتى تحصل حظك ونصيبك من زاد المعاد وسعادة الآخرة وتبلغ من ذلك حاجتك ، فتصل بذلك الى الحاجات والمصالح الدنيوية واصلاح أمور المعاش وتداركها كما هو نصّ الكتاب المنزل «وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك) .

— ٨ —

أى بنى : أوجب على نفسك تفقد أمورك ومصالحك ولا تجز الامهال فى المهمات والتزم النظر الصائب والفكر الصافى فى دقيق الأمور وجليلها واتباع المحاسن واستعمالها وترك المساوىء واجتنابها حتى لا تصير صغائرها كبائر وكبائرها شنيعة ومشهورة فتجتمع عندئذ خصلتان ذميمتان وحالتان مذمومتان منكرتان : إحداهما أن تتفرق وتنعدم الحسنات القليلة ،

---

(١) أى السماء

والأخرى أن تتجاوز السيئات الكثيرة حدَّ التلافى والتدارك .

— ٩ —

أى بنى : عوِّد لسانك قول الصدق واصبر على ذلك واثبت حتى يصير لك ملكة وتطمئن نفسك إليه وتصبح أنت معدن الصدق والسداد وتعتاد ذلك وتؤثر الصدق ، وإن كان سيؤدى إلى مضرتك على الكذب الذى يعود بنفعك .

بيت فارسى وترجمته :

قل الصدق أيها الحبيب فى كل حالة ؛ فى نسيم الرضا ونار الغضب

واحذر القسم الكثير والأيمان المتواترة والتزم الاحتراز ، فإن كثرة القسم تضر بدينك ودنياك وليس فى ترك ذلك مظنَّة نقصان ، وكلما ثابرت على هذه الطريقة ومارست هذه العادة والتزمتها تستقيم أمورك وتنتظم ، وتصبح عزيزاً وموقَّرا فى أعين الناس ويزداد قدرك ووقعك وتصير كبير أقرانك ، وتكون موصوفا ومعروفاً بصدق القول والخلق الحميد ، وتغدو ثقة ومؤتمنا فيسمعون كلامك . . فإذا ماسمعوا منك كلمة منكرة وقولا غير سديد ولفظاً كريها ، تحملوا ذلك واصغوا إليه ولا يعدُّونه مستكرها .

بيت :

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها ؟ كفى المرء نبلا أن تعد معايبه[1]

---

(١) البيت من الطويل وهو للمتنبى ، والسجايا : الطباع والشمائل .

وابتعد عن الكذب ولا تروِ ولا تنقل عن أهل الكذب فيؤول حالك إلى تلك العادة السيئة وتشتهر بالكذب والخيانة ولا يصدقون أى كلام تقوله ولا يصغون إلى حديثك ولا يستمعون إليه ولا يبالون ولا يلتفتون إليه ولا يمكن تصور خير فى حياة على هذا النمط ولا تعد حقاً من العيش (فى شىء) .

— ١٠ —

أى بنى : تعوَّد الصمت واحترز من اللغو ، ولا تشرع فى الكلام بغير فهم فإن عدم الكلام خير من الثرثرة فى أمر يتم بدونها ولا يكون لك فى ذلك مصلحة ، وتيقّن أن قلة الكلام والصمت أليق بحالك وموجب لمزيد كمالك ، ووقعك عند اترابك واكفائك ، وأفيد لبقاء دينك ونقاء عرضك . . وفى المثل : العىُّ خير لك من الهذر فى غير ما يعنيك [١] ، ومعنى هذا المثل : هو عين ماقيل فى صدر هذا الكلام ، ويقال فى الفارسية : « لا بد من حسن الكلام ليكون خيراً من الصمت » [٢] وإن كان لك مال ومدَّت لك أسباب الدنيا يدها[٣] فينبغى أن تفضل وتنعم على أصدقائك ومخلصيك وتسلك طريق العطاء والسخاء ، وتحسن وتبرَّ لمن يتوسلون ويتصلون بك .

---

(١) يخصك .

(٢) ترجمة للمثل الفارسى ونصه : « نيك سخنى بايدتا ازخاموشى بهتر باشد »

(٣) أى أقبلت عليك الدنيا .

— ١١ —

أى بنى : ينبغى أن لا تكون عاطلا من التحلى بالخلق الحسن وحلية الكلام العذب وزينة الرفق وحسن المعاشرة .

شعر :

لا خيل عندك تهديها ولا مال   فليسعد النطق إن لم تسعد الحال[1]

فإن كل من يتحلى بحلية محاسن الأخلاق يكون من أرباب السداد والخير ، ويكون محبوباً كذلك عند أهل الفسق وأصحاب الشرّ والفجور ، وتُستحكم وتُرسخ مودته فى ضمائر عموم الناس وخواطرهم ، وتستقر محبته فى قلوب الطوائف ويثنون عليه ويحمدونه فى جميع الأفعال ويذكرونه بالخير فى رسائلهم ، ويكسب الأصدقاء والخلاّن ويحصل على الأحباب والإخوان ويجعلهم شاكرين ومستفيدين ومنتفعين بمعاشرته ومصاحبته ،كما أنهم يتسامحون معه ويواسونه فى احتمال المشقات والتكفّل بعوارض المهمات ويشاطرونه غمّه ويعينونه ويتحملون مايصدر عنه .

— ١٢ —

أى بنى : احذر واجتنب الضجر والبرم وقلة الصبر فى الأمور والأخلاق الذميمة ، فإنك — بهذه الخصال والعادات المنبوذة — لا يستقيم لك أى صديق ولا تدوم صداقته وينفر منك جميع الناس ويتجنبون مخالطتك ، فقد شبه الخلق السيء بشوك الحسك الذى يمنعك مواصلته

---

(١) البيت من البسيط وهو للمتنبي .

من أية جهة وطرف واجهته وينفر منه كل إنسان ، ويسّر على نفسك بالقناعة كل أمر ، وهوّن عليك كل شيء .

ترجمة بيت فارسي :

إن حرصك الذى يجعل كل شيء نادر الوجود فقلّل الحرص حتى يرخص سعر كل شيء .

ولا تجعل نفسك معلقة وملقاة فى الغمّ والهمّ ولا تجعل الحزن والفكر يتطرق إلى قلبك ، قال سقراط الحكيم : « الحزن مدهشة للعقل ، مقطعة للحيلة ، فإذا ورد عليك حزن فاقمع الحزن بالحزم ، وفرّغ العقل للاحتيال » . . . ومعنى كلامه هو أن الغمّ يجعل عقل المرء متحيراً ومتردداً ويوجب انقطاع حيلته وتدبيره ، فإذا أصابك همّ فأبعده عن نفسك بالحزم والرأى الصائب ، وفرّغ عقلك دون منازع فى تدبير الأمور وطلب الحيلة وأسباب المصلحة .

وكن راضياً هنيء القلب بما رُزقت به وقُسم لك ، حتى تصفو معيشتك من شوائب الحرمان ويطيب عيشك وتجد لذة الحياة وتستطيع الاستمتاع بها ، فإن كل تلك الأشياء فى القناعة هى الكفاية والاستغناء .. و « القناعة كنز لا ينفد » .

شعر :

ملك القناعة لا يخشى عليه ولا يحتاج فيه إلى الأنصار والخول[1]

(١) البيت من البسيط وينسب لعبد الله بن المبارك .

أى بنى : أحبب العقلاء وأرباب الكياسة وخالطهم والتزم طريقتهم واقتد بسيرتهم واسعَ فى احراز حظك من مجالستهم ومؤانستهم ومعاشرتهم ومحاورتهم لأن سيرتهم مبنيّة على قاعدة الصدق والاستقامة وطريقتهم طبعتهم على جادة الوضوح والسداد .. ولا تجعل نفسك مشهوراً بين الناس بخلاف هذه العادات وضد هذه الشمائل التى ذكرت ولا تؤالف ولا تلاطف جماعة مضرتهم لك متوقعة ولا تستطيع أن تثق وتأمل فى منفعتهم ولا تخالطهم ولا تباسطهم ، ولا ترغب فى مودة وصداقة الأحمق والجاهل ؛ ولا تعاشر المغرور والمعجب الذى يغالط نفسه حقاً فإن كل من يثق بالكذب والتزوير كمن يتابع السراب آملا فى الماء «كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً» .. ولا تجعل نفسك تبعاً وطوعاً لهواه ولا ترض لمخادعته وتلبيسه ، فيضعف رأيك ويفسد ، ويبعثك على أن تقصر فى مصالحك وتجيز اتباع الهوى واختيار الملق[1] وترضى التأخير فى أمر تجب فيه العجلة ، وتكل مهام اليوم إلى الغد بداعى الغفلة والكسل .. وكل أمر فاتك وأفلتت فرصته من يدك لا تحمل فى طلبه تعباً دون جدوى واتركه ، وما لم يفت بعد ولم يزل عنان اختياره فى يدك وتثق فيه بانجاح السعى وفسحة الأمل فلا تتحاش تحصيله ولا تدع للعجز والضعف طريقاً إلى نفسك .

---

(١) ترجمة « خوش آمد » .

شعر :

ترى الجبناء أن العجز عقل   وتلك خديعة الطبع اللئيم
إذا غامرت فى شرف مروم   فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير   كطعم الموت فى أمر عظيم[١]

وأوجب فيه تصميم عزمك وتنفيذ رأيك وإمضاء فكرتك ، ولا تكن راغباً فى المآرب الحقيرة ولا طالباً للمقاصد الصغيرة فيضيع سعيك ويستحق جدك وجهدك الحرمان والخيبة وتستأهل منع المقصود وفوت المطلوب ، وقد جا فى حديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله يحب معالى الأمور ويبغض سفاسفها » .. أى إن الله تعالى يحب الأمور ذات القدر والخطر وينظر إلى الأمور التافهة والخسيسة بعين السخط .

— ١٤ —

أى بنى : ينبغى أن لاتقتصر — بعلة التواكل — على ما تكون قد نلت من المناقب والمواهب والمآرب والمطالب ولا تقصر ولا تفتر عن طلب المزيد منها ، واسعَ فى تحصيل أمثال وأنواع ما يكون قد حصل حتى لا تنقطع عنك مادة اتصال ذلك المحصول والمطلوب . وتكون مستظهراً وواثقاً من أنه اذا ماعرض حرمان فى بعض مساعيك ومباغيك وفاتك أمر تستطيع أن تأمل فى إحراز وإدراك غيره دون يأس ، فإن هذه الطريقة والعادة التى ذكرتها هى فعل أرباب العقول وسنة أصحاب

(١) الأبيات من الوافر ، وهى للمتنبى .

الرأى والفطنة و « من ذا يسمّى همتك حرصا »[١] ؟

شعر :

فلا هو فى الدنيا مضيع نصيبه ولاغرض الدنيا عن الدين شاغله[٢]

— ١٥ —

أى بنى إذا كان لك ذخيرة من رأى وحيلة من علم طلبتهما بذات نفسك عن طريق التجارب والمكابدة واشتهرت واتصفت بهاتين الفضيلتين ، فينبغى أن لا تطلع عليهما كل انسان وتحتفظ بخاصة نفسك وتدّخرها بالقدر الذى اذا ما بعدت ذات يوم عن الأعوان والأقران والأكفاء والنظراء فى ملمات الحوادث ومهمات المصالح ومستحدث الأيام واحتجت اليه كان لك ذخيرة ورأس مال فيتسنى لامرىء أن يرغب فيك للإفادة منه وتكون بذلك بين الناس مطلوباً ومتبوعا على الدوام ، وهذه سيرة أرباب العقول وعادة أهل الأدب .

— ١٦ —

أى بنى : اذا عرضت لك حاجة الى ملك فلا تلح فى عرض حاجتك والتماس مطلوبك واحترس من الوقاحة وراع فى طلابها واستنجازها مواضع الطلب ووقت الفرصة ، لتسأل وترفع حاجتك حين يكون الملك منشرحاً مسروراً .

---

(١) هذه الجملة ترجمة لمصراع من بيت فارسى ورد فى كليلة ودمنة بهرامشاهى ص ٦٠ تحقيق عبدالعظيم قريب . ونصه :

از دنائت شمر قناعت را همتت راكه نام كرده است آز ؟

(٢) البيت من الطويل وهو لمنصور النمرى .

بيت :

لا تغفلن سبب الكلام ووقته والكيف والكمّ والمكان جميعا[1]

حتى إذا ماسعدت بنجح المطلوب تكون قد بلغت بالأمر كفايته وحظيت بتحصيل المقصود ، وإذا حرمت وجبهت بيد الرد فلا أقل من أن تكون قد أديت جهد وسعك فتكون بذلك معذوراً لدى نفسك .

شعر :

وإن علينا الجدّ فى طلب العلى وليس علينا أن يوافقنا الجدّ[2]

ولا تستعن فى حاجاتك ومطالبك بامرىء لا يبتغى خيرك ولا ينصح لك ويستهين بأمرك .

نظم فارسى وترجمته:

أقلّ ذكر العشق لدى من لا يهتم بغمّك[3] .

واجعل نفسك لدى أوقات الفرصة وسنوحها نصب عينى من استعنت به وذكّره وتحاش الاكثار والالحاح . وإذا مارفع إليك أحد حاجة وكنت منجحاً مسئوله ومأموله ومالكا لقضائه وقادراً على إنجاحه وإنجازه فى سهولة بغير تكلف فلا تجز التقصير والتهاون فى اسعافه ، واستعمل كرم الخلق ولطف الشيمة فى الجواب والسؤال عند بذل المقصود ، وهيء ذلك المطلوب بتعجيل قضائه والاسراع فى نجح الفرص لصاحبه وطالبه

(١) البيت من الكامل ، وينسب للخوارزمى .

(٢) البيت من الطويل وهو للبحترى .

(٣) ونصه : كم گو غم عشق پيش آنكس كورا زعمت غمى بناشد .

ولا تجعله محتاجاً للتردد والمعاودة فى طلبه ولا تدعه فى قيد الانتظار . فإذا كنت على خلاف هذه الوصاية ملّ منك الطالبون وأعرض (عنك) الراغبون ، وانقطع منك أمل الناس ، وإذا لم تكن قادرا ومالكا لإنجاح تلك الحاجة وبذل ذلك الملتمس ففرّج عن المحتاج تعب الطلب بتصريح اليأس ،فإن «اليأس احدى الراحتين» . وبيّن له عذرك فى صدق عن طريق الرفق وحسن الخلق ، فقد قيل « إن السراح من السماح » أى تسريح السائل بلا أو نعم ، بغير وعود المطال ودلال التسويف ، من السخاوة والسماح [1]

— ١٧ —

أى بنى : جد واجتهد فى طلب صلاح أهلك وخلاّنك ، وتحرّ رضاءهم ما داموا معك على سنن الاستقامة وقاعدة السلامة وساروا على طريقة الوفاء وعادة الصفاء ، وابذل غاية المجهود ؛ وكلما تغير حالهم واستزادوك فالزم الحذر منهم واحترز لأن عداوة الأقارب أضر من عداوة الأجانب ومضرتها أكثر ، ونكاية عداوة الأحباب والأقارب ومعاداتهم أشدّ أثراً من عداوة غيرهم ، وقول أصدقائك فى حقك مصدق ومقبول ، إذ يراهم الناس واقفين ومطلعين على أسرارك وأفكارك وظاهر وخفى أعمالك وأحوالك وخير وشر مصالحك ومهماتك ، وبعيدين عن الغرض فى شأنك . فاعتبر عداوة الصديق والأهل — بحكم هذه القضية — كسطوة السبع الضارى .

---

(١) ترجمة الشرح الفارسى .

شعر :

احــــذر عدوك مرة   واحذر صديقك ألف مرة
فــلربما انقلب الزما   ن فكان أعرف بالمضرة[1]

ومن مشهور الأقوال والأمثال (الأب ربّ — والعم غمّ — والخال وبال — والأخ فخّ — والولد كمد — والأقارب عقارب — وأقرب الأقارب أخبث العقارب .

نظم فارسى وترجمته :

هذا الجمع الذى سميته أهلا كل منهم عقرب ذات مائة لسعة .
كل منهم يذم الآخر جفوة ويعيب بعضهم البعض حسداً .
كلهم من صغير وكبير وذكر وأنثى
يتمنى أحـــــدهم موت الآخر .
القريب الأدنى مثل الجرح كلما كثر حكه ازداد ألمه .
لا يحسن قبوله ولا ردّه مثل الأنف القبيح بالوجه الحسن .
اطلب الصديق وانقطع عن الإخوة لأن الأخ يملأ القلب ناراً .
إذا كان أكثر منك مالا وجاها كان أشد لدغاً من العقرب .
إذا كنت قوياً سعيداً يودك عاجزاً شقيا حزيناً .

---

(١) البيتان للبديع وهما من مجزوء الكامل . وفى رواية أخرى : «فلربما انقلب الصديق»

وإن يكن صغيرا تدلل على أبيه وإن يكن كبيرا يحب أن يتحكم فيك .

وهو سيء المسلك معك مادام أبوك حيًا
فإذا ما مات أبوك فهو خصمك وشريكك .

إن من هو عمّك ومن هو خالك كلاهما فى قيد جاهك ومالك .

وكذلك ينبغى أن يكون الأعز والآثر والأرفع منزلة لديك من أقاربك والمتصلين بك وأولاهم بحمايتك وعنايتك هو الذى يجدّ فى مزيد تعظيمك ويثابر على استرضائك وحسن ذكرك ، ويكون أرغب فى صلتك وقربك ويسلك طريق الصداقة .

— ١٨ —

أى بنى : يجب أن تجعل حفظ سرّك أساس العمل وعمدة الاستظهار فى معاداة ومغالبة أعدائك وأن تحذر من إعلانه وأن تجابه بالعقل والتدبير الأعداء عند مخاصمتهم .

بيت :

الرأى قبل شجاعة الشجعان   هو أول وهى المحل الثانى[1]

وأن توجب صيانة نفسك من المعايب واجتهد فى أن تكون أعمالك وفق قانون الصلاح والسداد وأقوالك وأفعالك على سنن الصدق والصواب حتى تظفر بخصومك وتأمن أن يطلع العدو على فضيحة من أحوالك أو يقف على زلّة من زلاّتك ويأخذ عليك هفوة وهنة فيجعل منها علة للتشنيع

---

(١) البيت من الكامل ، وهو للمتنبي .

عليك وتهجينك ، وهذه الطريقة التي ذكرت هي علامة أرباب العقل والبصيرة وعادة أصحاب الحجا والكياسة .وإياك أن تظن عدوك غافلا عن أحوالك وتغتر بإعراضه وتهاون في خصومته فيأخذك فجاة بحبائل كيده ومصائد مكره على غرّة منك ويترقب فرصة أن يطّلع على فعل منكر وحركة قبيحة منك حتى يشاهد خللا وعيبا في أخلاقك وعاداتك فيظفر بك ويتغلب عليك بتلك الوسيلة .

بيت :

ومن يثق بمقال إلا يصدقه   فعل ففي حسبه لا عقله عاب[1]

وراع مع عدوك في الخديعة والمكيدة القدر الذي تقتضيه الكياسة ، واجعل التفرغ والتواضع له عدّة للعداوة وسلاحاً للعناد . والزم إظهار الرضا عنه واسلك طريق المجاملة وانتهز الفرصة فإذا ما وجدت الفرصة ووثقت من التمكن والغلبة عليه فأعلن عندئذ المخاصمة ، وافش المكاشفة للظفر به وتكون هنالك مظنة للقدرة والبصيرة .

شعر :

يقول لك العقل الذي بين الهدى   اذا أنت لم تدرأ عدوّاً فداره
وقبّل يد الجاني الذي لست واصلا   الى قطعها وانظر سقوط جداره[2]

---

(١) الحسب : الظن . العاب : العيب .

(٢) البيتان لمنصور بن اسماعيل الفقيه المصري ، وهما من الطويل .

وإياك أن تجعل العدو حذراً ومستشعراً ومحترزا منك باظهارك النفرة والمجانبة وإعلان اللوم والمحاورة ، لأنك اذا سرت على هذه الطريقة واطلع الخصم ووقف على عزيمة خصومتك استعد وتشمّر لمعاندتك ومخاصمتك وأخذ أهبته وعدته واتخذ الحيطة والحذر منك وأقام على الحزم فى مخاصمتك ؛ وتيقّنْ أن قبول هذه المواعظ التى ذكرت والعمل بها تجعل رأيك أصوب وتعينك على نجح الغرض وحصول المطلوب .

— ١٩ —

أى بنى : احتقر واستصغر عزائم الأمور وتحمّل الأخطار فى اكتساب المنفعة .

شعر :

ذرينى وأهوال الزمان أعانها　　　فأهواله العظمى تليها رغائبه[١]

واعتبر أعمالك فى ارتكاب المضرة أمراً صعباً جسيما .

بيت :

كفى محنتى نفسى بها مطمئنة　　　ولم أتجشم هول تلك الموارد[٢]

ولا تتوقع ما لا يكون نيله ممكنا ولا يمكن الطمع فى إدراكه ولا تقطع الأمل مما يمكن الحصول عليه ، فكثيراً ما يلتى السعادة الرجل الخامل الذكر الوضيع القليل البضاعة بحصول مطالبه ونجاح مآربه ، وتيقّنْ أن انقطاع

(١) البيت لأبى تمام وهو من الطويل .
(٢) « للشريف « « «

الأمل واستيلاء اليأس على القلب هو « بمثابة » القاء المرء بنفسه فى الهلاك بيديه « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » ..واجعل الزمن مُعينا ومعاضدا لك فى الاقدام ، فإن اليأس يجعل الرجل قاصراً وعاجزاً عن الطلب ويضعف رأيه فيقعد عن دفع نوائب الزمن فاعتصم بتقوية رجائك فى مزاولة المصالح ومداخلة الأمور وافسح الأمل واجعل الهمة واسطة لحصول البغية واصبر الصبر الجميل على ما فاتك وتذكر « ولا تأسوا على ما فاتكم » .

قال المتنبي :

لاأشرئبّ إلى ما لم يفت طمعاً ولا أبيت على ما فات حسرانا[1]

— ٢٠ —

أى بنى : احذر الحسد ولا تجزه .. ولا ترضى عن نفسك لئلا يصبح الحسد عادة لك ويستقر الظن السيء فى طبيعتك فتتسرب إليك أيضاً مضرة هاتين الخصلتين وتعود عليك تبعة ذلك ولا تزول مؤونته وتعبه من نفسك ، وقد جاء فى كلام الحكماء « أعدل الداء الحسد فإنه ينتصف من الحاسد للمحسود » ، ومعنى هذا الكلام أن أعدل الداء الحسد لأنه يبتلى الحاسد بنار الغضب والحقد حتى يأخذ منه حق المحسود[2] ، وقد جاء فى أحاديث السلف احذروا الحسد فإن الحسد كان أول إثم عصى به الله فى الأرض والسماء ، فنى السماء حسد أبليس لآدم الذى جعله يترفع عن

---

(١) البيت من البسيط . أشرئبّ : أتطلع (٢ : ٤٦٠ ديوان المتنبى شرح البرقوقى)

(٢) ترجمة الشرح الفارسى .

السجود بأمر الله ، وفى الأرض حسد قابيل لهابيل فقتله فأصبح من النادمين.
وكلما قمت بإصلاح نفسك تكون قد كفيت سعى العدو فى مخاصمتك ، لأن عداوتك (لنفسك) ذاتها يمكن أن تكون أضر وأكثر غائلة من عداوة غيرك (لك) ، وليس ثمة أحد أجدر منك بإصلاح ذاتك ونفع نفسك وتهذيب خلقك

بيت :

ونفسك أكرمها فإنك إن تهن　　عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما[١]

فاحترز من سوء الخلق واجتنبه ، ولا ينبغى للعاقل أن يرغب فى أمر يتصور الخير فى سواه. واعلم أنك بسبب قليل من المصالح والمهمات تقع فى مشاغل كثيرة وتقف حقيراً فى معرض أمور عظيمة ، فينبغى أن تكون خلاصة أمنيتك ومنتهى غايتك وقصارى لذتك وراحتك أن تقصر الهمة على طلب منفعة نفسك وإحراز حظها والإعراض عن المعايب والقبائح لتكون خلف صدق لسلف صالح .

بيت :

لا عذر للشجر الذى طابت له　　أعراقه إلا بطيب جناه[٢]

وأن تجعل أساسك فى أصالة النسب ثابتا ومستحكماً فيكون للناس منك نفع مأمول ومتوقع ويستطيعون أن يكونوا واثقين وآملين فى النفع الذى ينالون منك فإن الخير عادة ، ويجب على أرباب الحجا اتباعه

---

(١) البيت من الطويل وهو لمحمد بن عبد الله الأزدى .

(٢) البيت لابن الرومى وهو من الكامل .

وانتجاعه ، والشرّ لجاج ، وفرض على أصحاب الرأى توقّيه .

فتعلم هذه النصيحة وأمثالها ليحصل لك ثمرة تعلمها وفائدتها .

— ٢١ —

أى بنى : إن حظيت بحصول أسباب المسرّات الدنيوية كالجاه والمال وأمثال تلك الأحوال والآمال ، وبلغت فى ذلك إلى مرتبة تصبح متبوعا ومقدما ورائدا لجماعة ، ونيط وتعلق رجاء المحتاجين وأمل المنتجعين بمنافعك ومآثرك فالتزم الاحتراز من التكبر والنخوة والجبروت والاستطالة فإن طراوة عملك تأخذ فى التراجع بسبب العجب والتكبر والتطاول ، وينقص شأنك وتصبح مذموما عند الأصدقاء وممقوتا منهم .

بيت :

إذا كنت ذا فضل فإنك مرمد عيون الورى فاكحلهم بالتواضع[1]

قال صاحب الشريعة : « إن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا رحمكم الله » ، أى التواضع مدعاة لمزيد رفعة الناس فتعودوا التواضع رحمكم الله[2] .

وألزم نفسك سلوك طريق الرأفة والشفقة مع مرءوسيك ومحكوميك وامنن عليهم ببذل المجاملة والمعدلة وطلب السلامة والاستقامة مثلما تحب وترضى ممن هو أكبر وأسمى منك أن يبذل لك ويسلك معك نفس الطريق ، ويجب أن يكون إحسانك وإنعامك وامتنانك فى موقع الاستحقاق وموضع الاستيجاب .

---

(١) البيت من الطويل وهو لمنصور النمرى وفى الأصل الفارسى أخطاء فى بعض الكلمات .

(٢) ترجمة الشرح الفارسى .

بيت : ـ

إن الصنيعة لاتكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع[1]

وينبغى أن لا تبالغ فى الامساك وأن لا تصل إلى حد البخل وتحاش الإسراف كذلك فى العطاء ، وعلى الجملة يجب أن تحترز من التقتير والتبذير فى كلا الطرفين ، حتى لا تبقى محروما من ثمرة ثواب الدنيا ولا يبطل عملك ولا يضيع سعيك ، والتزم فى كل الأحوال طلب المزيد من الخيرات والمبرّات بأداء الشكر على كل ما ينالك وإذا ما تطرق إلى نفسك نخوة أو كبر واستولى عليك شيطان الغرور وسلطان العجب فأوجب على نفسك دفع النخوة وإصلاح النفس بتذكر حالك فى العالم وزواله وانقلاب أحواله وقلة وخسّة مقدار ما أصابك وقسم لك من الدنيا الفانية .

شعر : ـ

ما هذه الدنيا سوى قحبة تبرز فى الزينة للزانى
حتى إذا اغتر بإقبالها مالت لإعراض وهجران[2]

شعر فارسي وترجمته :

نحن لا شيء والدنيا لا شيء والغمّ والفرح لا شيء
اعلم أنك لا شيء فلا تقل شيئاً بعد

والتزم التجنب والتحرز من متابعة الهوى واستجماع الرأى واستعمال

---

(١) البيت من الكامل وهو للبحترى .

(٢) البيتان من السريع وهما للسرى الرفاء .

الفكر فى طلب شىء ومداخلة أمر لايتوقع منك . وكن على حذر من المزاح والهزل والكلام السخيف فى مجالس الأخيار والابرار وأرباب العقل والكياسة ، ولا تلوّث نفسك برذيلة السفاهة واحترز وتحاش كذلك من الأحاديث المضطربة التى لاموضع لها والكلمات المتنوعةالمختلفة كأن تقول : إن الأمر الفلانى كان كذا والعلانى يكون هكذا وغرضك بهذا النمط أن يخيل لك أنك تقول كلاما مضحكا وتعد ذلك من باب الظرافة وعذوبة الحديث وتجعل كلامك مادة للاستهزاء والاستخفاف وتسميه مفاكهة لأن هذه الطريقة تذهب بزينة الناس وجلالهم وجمالهم وقدرهم وتؤدى إلى الهوان والمذلة فى المجامع والمحافل وتوجب الحسرة وتعقّب الندامة .

— ٢٢ —

أى بنى : انظر دائماً إلى الأخيار والعقلاء بعينيك واستمع واصغ إلى الكلام بأذنيك واجعل ذهنك وضميرك فى كلامهم واقتفاء سيرتهم والاقتداء بسنّتهم ، وصيّرهما وقّادين صافيين . واعلم أنهذا المعنى خيرمعين وأحسن معاضد لك فى بلوغ الخيرات وتحصيل الغايات وادراك المنافع والفوائد . وكل من يستمر على مناهج الخيرات ويلتزم الإحسان والمبرّات لا يحرم من مزيد التوفيق وموهبة المعونة فقد قيل : « المحسن معان » .

بيت :

من يفعل الخير لايعدم جوازيه　　لايذهب العرف بين الله والناس[1]

(١) البيت للحطيئة وهو من البسيط .

— ٢٣ —

أى بنى : لا تظن ولا تخل ولا تتصور أن سلوك طريق الشر عند الأشرار أطيب وأيسر وأرجح إلى مطلوبهم ومقصودهم من التزام الخير والاهتمام بالبرّ لدى الأخيار لأن كل من يتوفر على الخير ويتخذه عادة لا يجد فى أى شىء سواه التذاذاً أو انتفاعا ، ولا يرغب فى أى عمل غير الخير ولا يميل ولا يلتفت إلا (إليه) .

بيت :

تركنا لأطراف القنا كل لذة　　فليس لنا إلا بهنّ لعاب[1]

— ٢٤ —

أى بنى : يجب أن تلتزم استشارة أرباب الرأى والكياسة وأصحاب الفطنة والحصافة فى ممارسة ومزاولة الأمر الذى يسنح ويعرض لك أو فى مغالبة العدو الذى تريد أن تظفر به بمقتضى الحزم وتستحوذ على عدّة الاستظهار والاستشهاد التى تكون مظنة لغلبتك وقوتك فإن كل من يأخذ بمشاورة العقلاء ويعتصم بنصيحة النصحاء فى الأمور التى أراد إمضائها وإتمامها ووضع قدم الإقدام فى موضع الاهتمام بها يكون قد فرّ من السقط والغلط ولجأ إلى حصن حصين وآوى إلى ركن ركين وصار آمنا واستولى فى ملابسة فعله على عنان الاختيار قبل حلول موانع الحزم والاضطرار لأن مشاورة أصحاب التجارب والعقل عدّة وعتاد كاملان وأبهة وشوكة تامّتان

---

(١) البيت للمتنبى وهو من الطويل — القنا : الرماح

وكل من لايحذر ولا يبالى التفرق والتفرد برأيه وخطأ فهمه يكون قد رضى بتضييع سعيه وإبطال طلبه وأقرّ بعيب عمله .

شعر :

خليلى ليس الرأى فى صدر واحد   أشيرا على اليوم ما تريان[1]

— ٢٥ —

أى بنى : باعد عن نفسك الأفكار الدنيوية لأن من المعلوم والمقرر سرعة مفارقتها وعجلة تقلبها ، وتحمل شدّة وصعوبة المشاق والمكاره الدنيوية بتوقع الرخاء والسهولة والرفاهية المأمولة والمتيقنة بعدها لأنه سيكون للزهد والقناعة فى الدنيا بعد ذلك عوض نفيس وأجر جزيل حينما تكون حاجتك أكثر مما هى الآن « فلا تعلم نفس ما أخفى لها من قرة أعين » .

— ٢٦ —

أى بنى : إذا سألك سائل فعليك بالتثبت والتأنى فى جوابه لتكون إجابتك عن تدبير وبصيرة وإذا أردت أن تسأل من أحد مسألة فاستحضر فى ذهنك أوّلا نقضه الذى سيكون لازما على سؤالك ومقالك وفكّر فى ردّ ودفع نقضه واعتراضه حتى تكون قد أعددت فى فهمك من قبل جواب المعارضة والمناقضة وتسير على وفق الصواب وتصل إلى مرادك ومطلوبك وتستطيع أن تأمن من الهفوة والعثرة .

---

(١) البيت للمجنون وهو من الطويل .

بيت :

قدّر لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقا عن غرة زلجا [1]

واعلم أنه لاوسيلة لك قطّ فى استمالة النـاس وتألّف قلوبهم وتقريب الخواص والعوام تدريجياً إلى محبتك وألفتك مثل أن تلتزم قبل كل شيء باتباعهم وتخوّل نفسك إرضاءهم كلياً أو جزئياً وتؤثر هواهم ومرادهم على هواك ومرادك ،ليمارسوا نفس الطريقة والسنة على سبيل الاقتداء بك، وتَـوطّـدمن الجانبين قواعد المصافاة والمؤاخاةوحينما ينازعك إنسان ويأبى عليك نجح مطلوبك ويكون ميله على غير بغيتك وخلاف إرادتك فلاتكره نفسك على اتباع عادته ولزوم طريقته ، وتابعه بتكلّـف وجهد حتى تحوله بالرفق والتدريج عن رأيه وعزيمته وتأتى به على سمت هواك ومرادك وتصل إلى مطلوبك ومقصودك وتجد فى النهاية سعيك وفضيلة رأيك محمودين وناجحين ، ولا تجالس الناس ولا تعاشرهم على خلاف طريقتهم وعادتهم ولا تكلفهم ما يبدو فوق طاقتهم ولايتأتى فى استطاعتهم ولا تجز التمـــاس ذلك منهم فينفر منك الجليس دائماً ، وإن حملت شخصاً وكلفته فوق طاقته يصير مرهقاً ومكدوراً بتحمله وتجشّمه فيجتنب صحبتك ، ومن ثم تبقى وحيداً من الإخوان والخلان ولا يكون لك مؤنس تطلب الراحة بصحبته ومحبته ولا يبقى صديق تستأنس بمودّته وكل من لا يـكون له أصدقاء وإخوان لا يعدّه الناس من أهل المروءة وكل من لا مروءة

---

(١) البيت لأبى العتاهية . وهو من البسيط . الزلق : المكان المبتل بالماء .

لا يكون مبعث أمل لهم فى أى شأن ، وقد جاء فى قول الحكماء « المروءة الجمع بين الدين والدنيا والتّوقى من سخط الخالق وذم المخلوقين » ، أى أن المروءة هى أن تجمع بين مصالح الدنيا وفرائض الدين بحيث لا تدع للإخلال طريقاً إلى أحدهما وتكون على حذر من غضب الخالق ومذمّة الناس[١] .

وحكى أن أبا العيناء الشاعر عندما وصل فى إنشاده ومدحه لعبد الله ابن طاهر إلى هذين البيتين :

يا من يؤمل أن يكون خصاله　　كخصال عبد الله أنصت واسمع

أصدق وعفّ وجدْ وانصف واحتمل

واصفح وكفّ ودار واحلم وأشجع

قال له عبد الله : « قد جمعت تفاريق المروءة فى هذا البيت » أى جمعت فى هذا البيت شعب المروءة وأنواعها [١] والحقيقة هى أن كل من يتمثل هذه الأوامر الذى ذكرها الشاعر ويعيش مع الناس بهذه الخصال يجتمع له أصدقاء كثيرون ويكون قد كفّ عن نفسه ألسنة الطاعنين .

شعر :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه

يفره ومن لا يتّق الشتم يشتم[٢]

---

(١) ترجمة الشرح الفارسى .

(٢) البيت من الطويل وهو لزهير بن أبى سلمى .

بيت فارسى وترجمته :

إن من ينظر بعين العقل إلى الزمان ؛ جدير به أن يعمل كل أعماله بالتعقل. القناعة والمروءة رمز الحرية ؛ فهو يجعل قلبه وقفا على هاتين الخصلتين قبل كل شيء .[1]

— ٢٧ —

أى بنى : اعتبر ملامة الناصحين لك غنيمة وعد تحذيرهم إياك مما هو مخالف للحق ومباين للصواب حظاً جزيلا ووعظاً مفيداً ولا تستهن به ولا تدع للضجر وضيق الصدر والقلق والملل طريقاً إلى نفسك فادفع عن نفسك بمكروه حقير تحتمله اليوم مضرّة عظمى تحذرها وتتوقعها غدا .

— ٢٨ —

أى بنى : ذلّل نفسك وروّضها على أن تحتمل المسلك الذى يخالف هواك ممن هو أعلى منك مرتبة وترى له أفضلية وتفوقاً عليك ، وعوّدها قبول هذا النوع من التحمل واجعله ملكة لأنك تكون قد أقررت بتفوق ذلك الشخص وأفضليته بأن لاتخالفه فى أى أمر ، ولا تلجّ معه ولا تلحّ وإن لم يكن الأمر من هذا الوجه فإنك لم تكن ترى لأحد رفعة وأفضلية عليك . وكل من يرى للغير فضلا على نفسه فهو فى الحقيقة دونه .

— ٢٩ —

أى بنى : اتبع ملازمة الجماعة ولا تخالفهم ولا تعنهم ولا تحرّضهم

---

(١) ترجمة الشعر الفارسى .

على قصدك بأن تختار المجانبة وتعرض عنهم وتنقبض وتنفرد وتستبد بالقيام بأمر ما ، لأنك إذا سرت على هذا النمط تكون قد أقررت بعداوة الجماعة وإذا ظن بك الأقران العداوة جعلوك هدفا لقصدهم واجتمعوا على معاندتك وقاموا بمخالفتك .

— ٣٠ —

أى بنى : لا تجعل نفسك ندّا وقرينا للملك ومن لا طاقة لك بمقاومته ومغالبته ولا تسلك طريق المكابرة والمنافسة .

بيت :

أرى العنقاء تكبر أن تصادا فعاند من تطيق له عنادا[1]

ولا تخالطهم متبسّطا لوقوفك على ملاحظة آثار العناية التى تكون قد حصلت لك منهم فى وقت الرضا وسبّبت غرورك لأن الملوك سريعو الغضب وبعيدو الرضا ، وكل من يكابر الملك مثله كمن يقدم على مكابرة الموت ، وكل من يجوّز مكابرة الموت فذلك هو الذليل فى الحقيقة .

— ٣١ —

أى بنى : الزم مجالسة العلماء ومؤانسة الحكماء بشرط أن تسلك معهم سبيل المصادقة والموافقة ولا تجز المكاشحة والمخالفة .

---

(١) البيت من الوافر وهو للمعرّى .

بيت : ـ

فـدارهم ما دمت فى دارهم   وأرضهم ما دمت فى أرضهم[1]

فتحمد عند جمهور الناس ويقترن ذكرك فى الأفواه بالمحامد والمدائح وتسلم من مكاره ومكايد أهل الشغب والفتنة .

— ٣٢ —

أى بنى : إذا كان لك فضل منزلة وعلو درجة فلا تتكبر بهما على الناس ولا تتطاول فتصير حقيراً ولا قدر لك فى أعينهم وتصبح مستحقاً الملامة ومستوجباً المذمة ، ويكون مثلك كمثل من يغرى الناس به ويعينهم على نشر معايبه .

— ٣٣ —

أى بنى : التزم ثلاث عادات فى معاشرة الخلق .

أولا : صداقة الخيار والعلماء وموافقتهم .

ثانياً : الوقار والاصطبار على أفعال الأشباه والاكفاء وأقوالهم .

ثالثاً : اجتناب مجالسة الأشرار والسفهاء ومخالطتهم لتزدان وتتحلى بصداقة العلماء والاتفاق معهم ، وحينما تعاشر الأتراب والأكفاء بالمصابرة وتسلك معهم طريق التحمل والتفضل يميلون إليك ولا ينفرون (منك) ويحصل لك الاخوان والأعوان ، واجتنب لأشرار

---

(١) البيت من السريع وهو للبستى

والسفهاء حتى لاتعرف ولاتوصف بفعلهم وطريقتهم ،لأن صحبتهم غرور وجهالة ، ومقارنتهم ومقارنتهم مكروهة ومحذورة ،والناس يعرفون كل امرىء من أبناء جنس قرنائه وجلسائه .

شعر :

عن المرء لاتسأل وأبصر قرينه   فكل قرين بالمقارن يهتدى[1]

أى لا تجالس قرين السوء فتصير مثله سىء السمعة وعديم الحياء .

إن أخا السوء لايرى فى شىء عاراً فإذا حملك على مشاكلته لم يخجل[2].

— ٣٤ —

أى بنى : إذا حضرت مجلساً فيه تنازع وتحاكم واحتججت واضطررت إلى جواب ذلك التنازع والمقال ، وكان من المحتمل أن تكون المداخلة والخوض فى تلك الخصومة من جملة مهمات ومصالح أغراضك ومقاصدك يجب أن تعرض على نفسك جواب ذلك المقال قبل أن تقوله ويفلت عنان الاختيار من يدك .

بيت فارسى وترجمته :

أنت قادر على الكلام مالم تقله ، ولكن إذا قلته لا تستطيع إخفاءه

(١) وفى رواية أخرى « عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه » وهو من الطويل وينسب لطرفة .

(٢) ترجمة لشعر فارسى .

وتبلغ فى تتبع وجوه صوابه وخطئه غاية الاجتهاد ولا تعارض هؤلاء القوم بمفردك مكابرة ومعاندة لهم وتكبراً واستطالة عليهم فيصبح أقرانك قلباً واحداً ولساناً واحداً فى مخاصمتك ويتفقون ويجمعون على مجاوبة كلامك ، ومعاضدة أحدهم للآخر فى الاشتغال بتتبع حديثك واقتفاء معايبك واظهار مساوئك ، فتعهّد أمرك واحفظ نفسك فى أمثال تلك المجالس .

شعر فارسى وترجمته :

إن المدبر العواقب لا يعجز ولا يضار فى أمره
وتدبّر العواقب رأس الفضائل ، ومتدبر العواقب يأتى بالجبل تحت قدميه .

وإذا ما حضرت مع أكفائك ومن يفوقونك سناً ومرتبة فى مجمع فلا تجلس فى صدر المجلس ومقام رئيس القوم ومكان صاحب الفضل فى الجماعة فيوكل بك الأقران أنظارهم لجلال ذلك المحل ومهابة تلك المكانة ، ويعدونك فى منزلة التصدّر متكفّلا برياسة المحفل وتكون قد تكفلت بجواب كل ما يعرض لحاضرى المجلس وما يخوضون فيه من حديث وجعلت نفسك زعيم هؤلاء القوم ومتعهدا لأمورهم فإذا ماظهر منك تقصير فى الجواب أو فى القيام بما يطرأ عاد عليك عيبه وصرت بذلك مستوجباً للاستهزاء وعرضة لاستخفاف القوم به ، وإذا ما اطلعوا على قصورك ونقائصك فإنهم لا يصغون ولا يستمعون لحديث تتحدث به بعد ذلك ولا يبالون بجواب حديثك وإذا كانت إجابتك على قاعدة الإصابة وتحدثت بحديث مهذّب فإنك لمّا كنت قد جلوت نفسك أوّلا بمقام صدر

المجمع فى معرض الصلف واستحقاق الرعاية ، تبقى عاطلا من حلية فضيلة إحسان الكلام واستحسان الحاضرين ولا يرونك سابقاً ومبرزاً ، ولا تستطيع مع ذلك أن تأمن أن يكون فى المجلس شخص أخر نظيرٌ ومعادل لك أو يزيد ، ويمتاز باحراز فضل السبق عليك « وفوق كل ذى علم عليم » .

شعر فارسى وترجمته :

إن الله الذى « بكن فيكون » ، أودع هذا الطبع فى جبلتك .

من الممكن أن يكون قد وهب غيرك أكثر مما هو لك .

ولما كنت قد تصدرت المحفل فى حضور ذلك الفاضل وتظاهرت بزعامة تلك الطائفة ورياستها فإنك تخجل من النقصان وعيب التخلف ، لأن كل من من تصدر جمعا وادعى التقدم عليهم فقد جعل لنفسه على الحاضرين والجلساء فضلا فى السن أو العلم ورأى لها تفوقا عليهم فإن مستحق الفضل هو من يستطيع أن يكون باجماع أرباب المقام أكثر من الآخرين فى السن والعلم ، فاحذر من تقلد هذه المنزلة وضمان هذه العهدة ولا تتظاهر بأنك قد اطلعت على أسرار وأخبار ومسارّ ومضارّ أهل ذلك المجلس وعرفت دقائق أحوالهم حتى إذا ما كان فى ذلك الوسط عيب أو منقصة لم تتلوث بها وتخرج سالما من ذلك المقام والموقف وكذلك لا تجلس فى صف النعال ومكان السفلة والارذال فتكون قد حكمت بعجز نفسك وقصور مرتبتك وخبرت بدناءة همتك ورضيت بهوانك ومذلتك لأن كل من اختار الجلوس فى زمرة اللئام وصف الاخساء يكون على الحقيقة قد أقر بضعف وسخف رأيه ، ومما

يقتضيه العقل ، وكما يليق بالحجا أن تسلك طريق القصد والتوسط فى اختيار مكانك فى محافل الجلساء والنظراء والأكفاء وأن تراعى شرط الانصاف والقصد فى معرفة حـــد مقامك ، فقد جاء فى حديث صاحب الشريعة : « رحم الله امرءا عرف قدره ولم يتعد طوره » أى رحم الله من يعرف قدر نفسه ولم يتجاوز بها عن حده [1] .

وفى الجملة فانه متى عرفت هذه الدقائق من النصائح والمصالح ووقفت على لوازم وموجبات كل محل ومقام فإنك تجلس فى الموضع الذى تختاره لنفسك وترضى به فإن قبول هذه الموعظة التى ذكرتها والعمل بها تحقق منافع ظاهرة وفوائد وافرة فى قوة رأيك ومتانة عقلك وزينة أمرك .

شعر فارسى وترجمته :

لا تطلب ما استعطت مكان من يملوك رتبة .
ولا تتمنَّ تاج الملوك فإن سبيله كله متاعب ، وقد يعرض للحتوف .
ولا ينبغى طلب الجاه الذى يعرض النفس والمال للخطر .

وإذا سئل غيرك فى مجلس وكان المقصود بالسؤال سواك فلا تسبق المسئول فى الرد ولا تبادر بالجواب ، فكما تخال — لشدة الحرص على الكلام وفرط الولوع بالجواب — أنك قد ظفرت بتقدير وتوصلت إلى نجح مطلوب ، فتكون فى هذه الحال قد حقرت المسئول ووضعت من شأنه وحثثت السائل وبعثته على معارضتك وتتبعك فى أمر كان غيرك الكفيل

---

(١) ترجمة الشرح الفارسى للحديث .

بجوابه « كالباحث عن حتفه بظلفه » ، وألقيت نفسك بالفضول فى ورطة وعقبة لاتعرف نهاية تبعتها ولا الخلاص منها

بيت :

فاياك والأمر الذى إن توسعت   موارده ضاقت عليك المصادر[١]

فقد جاء فى كلام فيثاغورث الحكيم : « خساسة الإنسان تعرف بشيئين: بأن يكثر كلامه فيما لا ينفع به أو يخبر بما لايسأل عنه » ، أى يمكن معرفة لؤم المرء ودناءته بشيئين ، أحدهما : أن يتكلم كثيراً فى أمر لا نفع له فيه ، وثانيهما أن يخبر ويتحدث عما لا يسأل عنه[٢] .

شعر :

إن كان منطق ناطق من فضة   فالصمت درّ بل أنه الياقوت[٣]

— ٣٥ —

أى بنى : إذا حضرت مائدة فلا تلق بنظرك على الموضع الذى يأتون منه بالطعام ولا تلتفت إلى تلك الناحية ، وأمسك بعنان التماسك فى ذلك المقام وتمالك نفسك ولا تكن أول من يمد يده إلى الطعام والخوان ، فيحكم كل الناس بشره نفسك وغلبة حرصك وتعرف وتوصف بصورة الشهوة، فاجتنب فى مثل هذه المواطن والمواضع أمثال تلك العادات والوصمات

---

(١) البيت من الطويل وهو لأبى العتاهية .
(٢) ترجمة الشرح الفارسى لكلام فيثاغورث الحكيم .
(٣) لابن المعتز وهو من الكامل .

التى ذكرتها واعتصم بالصبر والتثبت والتأنى فان كل من لا يقنع بالقليل لاينتفع بالكثير .

نظم :

أقنع من العيش بالميسور تحظ به فلا خلاف لما أربى على القوت
قوت ودرّ سحاب أمسكا رمقاً فما التنافس فى دروياقوت [1]

والحق أن نفسك تسير على ماعودتها عليه ، وتشتهر بالسمت والسمة الذين عودتها إياهما وروضتها عليهما .

شعر :

ياصاحب النفس التى لم تزل تدعو إلى اللذات أو تشره
إن أنت لا أكرهتها مانعاً صرت بها فى عين مانكره [2]

— ٣٦ —

أى بنى : صن عرضك من الشوائب والمعائب ولاترق ماء وجهك فى مكان الهوان والمذلة ولاتجعل نفسك فى معرض الاحتقار بان تسأل وتمد يد الانتجاع والاستماحة بسؤال من يكون رفضه عاراً عليك إذا لم توف حاجتك ولم ينجح رجاؤك وإذا حقق أملك لايصفو منهل عطائه من شائبة المنة ويشق عليك ثقل امتنانه .

---

(١) البيتان للمعرى وهما من البسيط

(٢) البيتان من السريع وهما للمعرى .

بيت :

لنقل الصخر من قمم الجبال　　احب الىّ من منن الرجال[١]

أى بنى : أحسن العيش فى الغنى والتمول واليسار والتجمل ، ولا تدع سبيلا لتغيير أخلاقك وعاداتك فى سبيل الحصول على المال وعموم الثروة ومساعدة البخت[٢] ومسامحة[٣] الأيام وتعوّد السخاء والسماح ولا تبخل بالحطام الدنيوى الزائل فان كل من يتخذ طريق الغنى وسبيل المعاش فى كسب المال على غير قاعدة مكارم الأخلاق والاحسان يقع فى التهتك والبطالة والطرب[٤] والبطر الذميمة عند الخلق .

نظم :

نعمة الله لا تعاب ولكن　　ربما استقبحت على اقوام[٥]

ولا تدع للبطر والعجب طريقا إلى نفسك ولا تنافر[٦] الاقران والاكفاء بالمال واليسار الذى يصل اليك فى عاجل الحال ، ولا تستطيع لأمد طويل أن تأمن زواله وانتقاله وفناءه وانقضاءه ولا يجوز الاعتداد والاعتماد على بقائه وعونه ولا يمكن الوثوق بدوامه .

---

(١) البيت لمهيار وهو من بحر الوافر .
(٢) البخت كلمة معربة بمعنى الجد والحظ .
(٣) المسامحة بمعنى التسامح .
(٤) الطرب بمعنى الخفة .
(٥) من بحر الخفيف وهو لابن الرومى .
(٦) التنافر بمعنى الاختلاف والتخاصم .

بيت فارسى وترجمته :

لا ينبغى الإدلال بالاقبال والانتحاب للادبار ، وانت فى طرفة عين لا ترى هذا ولا ذاك [١] . ولا تستهن بالمساكين والفقراء ولا تحتقرهم لتكون بفيض الفضل الالهى مستوجبا المال والثراء وتجلّد كذلك فى الفقر وحالة الضنك بأن تلتزم صيانة نفسك من الخساسة والدناءة وتنزّه عرضك عن ذل السؤال واستماحة الارذال .

شعر :

خلقان لا ارضاهما لفتى ... بطر الغنى ومـذلة الفقر [٢]

واقنع بما قد رزقك الله تعالى لأن عيش السخط واختيار مذلة التضرع والتخشع واظهار الضعف والانكسار فى الفقر والفاقة تسقط شرف المرء وتذهب به وتعود بخصوص الذكر وتوجب العجب والعار وقد جاء فى كلام أمير المؤمنين عليه السلام : (ما أحسن تواضع الاغنياء للفقراء طلبا لما عند الله ، وأحسن منه تكبر الفقراء على الاغنياء توكلا على الله)؛ وتفسيره انه عليه السلام قال متعجبا : ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء والمساكين يطلبون بذلك ثواب الله تعالى ورضاه ، واحسن من ذلك سيرة تكبر الفقراء على الأغنياء بأن يتوكلوا كل التوكل على الخالق عزّ وجل ولا يرفعوا رجاءهم لغير الحضرة الصمدية ولا يبالون بغيره فى النفع والضرر » .

---

(١) هو فى معنى قوله تعالى : « ولا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم »
(٢) البيت لأبى العتاهية وهو من الكامل .

وعلى الحقيقة فإن حلية الآداب المرضية ورأس الأخلاق الحميدة الجميلة داخلة فى هذا الكلام الشريف والاستغناء عن النصائح والآداب الأخرى التى مرّ ذكرها حاصل بقبول هذه العظة .

شعر :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ماقالت حذام[1]

— ٣٨ —

أى بنى : إذا قصدت السفر فى صحبة جماعة من الرفاق ورفقة قوم من الصحاب وكنت راغبا وعازماً على قصد ناحية فينبغى أن لاترى نفسك أولى بالأمر والنهى وتقلد مصالح الطريق ممن هو أقل شأنا فى زمرة المرافقين فإن لخامل الذكر ونازل المرتبة فى حسن المصاحبة وشرط المرافقة عين الحق الذى لرفيع القدر وعالى الدرجة ، ولهذا قالوا : « الرفيق ثم الطريق » أى يجب أولا الحصول على المرافق والموافق ثم السير بقدم العزيمة فى الطريق . والزم الصمت كذلك فقد يكون بين المصاحبين من يتكلم فى الصالح ويكفيك تلك المهمة فإذا أصاب القوم فى هذه القضية خيراً ومنفعة فلن تحرم بأى حال من إحراز حظّ وإدراك نصيب ولن تبقى محروما ، وإذا عرض مكروه ووقع محذور سلمت ولم تصبح مستحقا لملامة المرافقين ومذمتهم وعرضة لعقاب أصحابك وإنكارهم . . « من صمت نجا »

(١) البيت للنابغة الذبيانى وهو من الوافر .

بيت فارسي وترجمته :

اجعل الصمت حصنا لحيـــــــاة العزلة

وإن لم يرق فى الطبع فقل للنفس ابسمى رعافا وابكى دماً

وقد يصيبك كذلك من تلك الناحية من المضرة مايعدونه محض النحس وعين الشؤم.

— ٣٩ —

أى بنى : إذا نزلت ببلدة غريبة وبقعة أجنبية ليس لك بأهلها سابق معرفة ووسيلة ولا اتصال لك بأحد من تلك الزمرة فيمّم محفلا واقصد مكانا يكون معينا لاجتماع أهل المدينة والتقائهم وتأمل حاضرى المجلس وكلّ نظر الاعتبار والاختيار بأعيان ذلك المكان،فكل من تراه متحلّيا ومتوشّحا بحسن الصورة وزى الحسن وصفة أرباب الحجا والتميز ، وتجد له منزلة عند أهل ذلك المقام فتوسل به وتمسك بأذيال مخالصته بيد الانتساب ، واستعن به فى حوائجك ومهماتك، والتزم مادمت هناك مجالسته ومحاورته ، فإنك لن تجد بأى حال ذلك المجلس والمقام خالياً وعاطلا من طالب أجر وثواب أو راغب مدح وثناء ، وبسبب واحدة من هاتين الخصلتين يميل إلى الترحيب بك وتقريبك ويعينك على نجح المطلوب ودرك المقصود .

— ٤٠ —

أى بنى : لا تعتذر إلى من لا يرغب فى أن يحقق لك معذرة ولا تتلو صحيفة التضرع والاعتذار لدى من يعرض عن الاستماع بتقرير حالك ، فإن كلامك غير مجد هنالك .

شعر :

من لم يكن للوصال أهلا　　فكل إحسانه ذنوب[1]

ولا تستعن ولا تستنجد بمن لا يريد ولا يرغب فى أن يدبر حيلة ويهيء وسيلة لاسعاف حاجتك وإنجاح طلبتك من قبل رأيه وتلقاء نفسه أو من غيره وعن طريق الشفاعة فى أمرك .

شعر فارسى وترجمته :

لا ينبغى الافضاء بالأمل لدى جماعة لا يسعفونك

— ٤١ —

أى بنى : إذا أحسن إليك منعم وأصبح حق اصطناعه وتربيته لزاماً فى ذمتك فلا تجز الكفران[2] فإنه مخيبة لنفس المنعم ولا تستهن بتلك الصنيعة والنعمة ، « الا لعن الرحمن من كفر النعم » ولا تقابل ذلك بقلة الثناء والشكر فإنك بقبولك عطاء ذلك المنعم قد أثبت على نفسك حق الإنعام والمكرمة وجعلته طوقاً فى عنقك ، وإذا أسديت إلى أحد إحساناً وقلدته إنعاماً فأوصل له تلك الصنيعة ، ورشح له ذلك الإنعام ، بأن لا تكثر عليه المنة وتعيد ذكر ذلك كل حين ، فيدعو هذا إلى خجله واستحيائه حتى تكون فى السخاء والكرم كما قيل .

---

(١) البيت للبحترى وهو من مخلع البسيط .

(٢) الكفران : نكران الجميل ويقال بالفارسية حق نشناسى .

بيت فارسى وترجمته :

لا يرى أحد سكارى خمر إنعامك ، فيصيبهم خمار منك لهم بالعطاء
إذا الجود لم يرزق خلاصاً من الأذى فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقياً[1]

لأن هذه الطريقة والعادات التى مرّ ذكرها تهذب أخلاقك وتجعلك فى نظر الأقران والأكفاء متحلياً بالمحاسن وتوقرك .

— ٤٢ —

أى بنى : عود نفسك الحلم والسكينة والوقار والثبات واجعلها ملكة لها بحيث لا تصل سورة غضبك وقت السخط إلى حد أن تصير حجابا لعقلك ورأيك وتذهب بك من سنّى أخلاقك الحميدة إلى خلاف العادات المألوفة ، واحترز من تبعات الغضب المذمومة ونتائجه غير المرضية .

فقد جاء فى كلام سقراط الحكيم : إذا غضب الانسان لم يرد عن اللسان إلا الخطأ ، وكما أن السكران لا يعرف قبح سكره إلا إذا رآه من غيره ، كذلك الغضبان لا يعرف قبح غضبه إلا عندما يرى من أثره ، أى كل من يغلب عليه الغضب لا يلفظ لسانه بغير الكلام الخاطىء ، كما أن السكران لا يعرف قبح الغضب مالم يبتل بوخامة عاقبته ونتيجته الذميمة[2] .. وإلى هنا ينتهى معنى كلام الحكيم .

ولا تجز العقوبة فى حالة سورة الغضب وفورته ، فانه إذا ما أدت بعد ذلك

---

(١) البيت للمتنبى وهو من الطويل .

(٢) ترجمة الشرح الفارسى

إلى الحزن والندامة لم يتسن لك التمكن والقدرة على تلافيها وتداركها ، وكثيراً ما يعاقب فى حالة سطوة الغضب من لا يستحق العقاب والعذاب ، ولا يكون من الرأى والحزم النكال والبطش به ، فيتحتم توقع المضار عقب تلك العقوبة فى العاجل ، وتبقى تبعتها وإثمها فى الآجل وتسبب أنت بتلك الطبيعة والعادة إلى الخفة والذم بين الناس ، ولذا قيل : « إذا ملكت فأسجح » أى إذا قدرت على إنسان فاعف عنه ولا تؤاخذه[1] .

نظم فارسى وترجمته :

الغضب والشهوة جمال الحيوان ، والعلم والحكمة كمال الانسان .

مادمت ثملاً بالغضب والشهوة ، أقسم بالله لست أنت بإنسان .

فاسحق الغضب والشهوة تحت قدميك ، لعلك تصبح إنساناً كاملا .

— ٤٣ —

أى بنى : احترز من أن تصبح مشهوراً ومذكوراً بين الناس بسوء القالة والنميمة والألفاظ المستهجنة والكلمات الموحشة ولا تجعل الكذب والاحتيال على الناس وسيلة لحاجتك وواسطة لمطالبك ومقاصدك فتعرف وتوصف بذاك العيب والزور ، « وفى حديث صاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام : « الكذب مجانب الايمان » ولا تجز كثرة الحلف فى الكلام ولا تجعل ذكر الله بالايمان متداولا على لسانك ومستعملا فى بيانك فيخل بدينك وينقص بذلك وقعك وقدرك وحسن ذكرك بين الخلق وينقطع رجاء أرباب الحوائج الذين يتوقعون منك الخير ويطمعون فى البر .

(١) ترجمة الشرح الفارسى .

— ٤٤ —

أى بنى : لا تتحسر على ما يفوتك ولا تدع للغم والأسى طريقا إلى نفسك فتحرم من ذخر الثواب وتقصر يد إدراكك عن أذيال المطلوب والمقصود ، ولا تكثر الفرح بخير وبرّ يصيبانك وأمنية تقترن بالنجاح ولا تفرط فى الفرح والترح فتقعد عن أداء شكر الله تعالى على تلك العطية ولا تستحق مزيد النعمة وموهبة الخالق واشكر فى كل حال على ما رزقك الله تعالى وما ينالك من نصيب من خزانة مقادير أرزاق الخلائق «وكل شيء عنده بمقدار» وتوجه بالشكر على الدوام إلى الحضرة الصمدية إزاء الآلاء والنعماء الإلهية وجزاء للصنايع والمنايح الربانيّة .

بيت :

الا فاشكر لربك كل وقت على الآلاء والنعم الجسام(١)

شعر فارسى وترجمته :

أشكر عالم الغيب والشهادة من أجل المزيد .
خير لانسان يسلك طريق الحق أن يشكر الحق .

— ٤٥ —

أى بنى : إذا عزمت على خير فاغتنم للمبادرة والمسارعة فى ذلك الأمر وعجل فإن الخير القليل إذا عجلت فى إتمامه وتحصيله يكون كثيرا ، (بادر إلى الخيرات قبل فواتها) ولا تحتقر الشر الذى يبدو فى نظرك حقيرا ، واهتم به لأن قليله داعية لكثيره ويوجب استمرار الشرور ، «الأيام تجعل من الخلال عودا» ، وإذا ائتمنك أنسان واعتمد عليك فاجتهد فى أداء أمانته ولا تبح

(١) البيت لأبى العتاهية وهو من الوافر .

الخيانة وتمثل نص الآية « أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » لأنه وثق بك وائتمنك وقد سلك طريق الاحسان بحسن الظن والرأى فى حقك وقد اختارك لذاته عديل شخصه ووكيل مصلحته فى الأمانة والعدالة وجعلك خازناً لمستودع نفسه ، فاجتهد أنت أن ترجع إلى ذلك الخلق الطيب الذى كان يظنه فيك وأن يتحقق ما كان يتوقع منك ولا يخطىء ظنه فإن هذا المعنى أليق وأجمل عند الله والخلق وأرضى وأحمد مع الخاص والعام ، وإذا فتح لك أحد باب خزانة أسراره واعتمد عليك فى إخفاء حديث أوامر وعول على سدادك وأمانتك فى تلك المصلحة فعليك الجهد فى كتمانه وإخفائه، واجتنب وتحاش إعلان ذلك السر وإفشائه ولا تجز بغير موافقته وإذنه إظهار أمره وإفشاء سره لأنه قد اعتبرك أميناً وحافظاً لحديثه وقد طلب منك كتمان المصلحة التى كانت لها أهمية عنده وأعلن مكنون ضميره ومخزون صدره ومضمون خاطره عن طريق الوثوق بك والاعتماد عليك وناط وعلّق أمله ورجاءه على معونتك وصيانتك وكان يأمل أن تساعده — ولا تضن بمعونته — فى التحمل والتكفل الذى عجز هو وحده عن احتماله .

واعلم أن اعتياد هذه العادات والتخلق بهذه السجية وسلوك هذه الطريقة التى ذكرت توجب كثرة تعاون وتعاضد الأصدقاء والإخوان ومظاهرة وموافقة الأتراب والأشباه ، فيعتمدون عليك وتستقر قلوب الأقران على ألفتك وصداقتك وتتهيأ لك منهم أسباب انتفاعك ، فليس فى الدنيا نعمة قط مثل الصديق المخلص والصاحب غير المرائى .

بيت :

وما بكثير ألف خل وصاحب   وإن عدوا واحداً لكثير[1]

— ٤٦ —

أى بنى : إذا نقل إليك أحد عن صديق كلاماً مكروهاً يوجب تأذى خاطرك وتقسم ضميرك وكان خلاف ما تتوقع فاستهن بذلك الكلام ، وأعرض عن تلك الوشاية ولا تلتفت إليها وقابل كلام الواشى والنمام بالتكذيب ، واعتبر من يعتاد السعاية والنميمة بين الأحباب والإخوان أحقر الناس ، واعمل على تحقيره واستصغاره ، لأن الناقل إن كان صادقاً كان الموشى به إما خائفاً منك أو كان يمنعه الحياء من أن يواجهك ويشافهك الكلام ويكاشفك بتلك العبارة ، والنمّام والساعى الذى يفضى إليك بذلك الحديث هو الشاتم لك فى الحقيقة والتأذى منه الزم ، فقد جاء فى الأمثال « إنما سبّك من بلّغك » ، ومعنى المثل هو ما ذكر ، وقد حكى فى التواريخ أن سليمان بن عبد الملك كان يعاتب أحد خواصه ذات يوم ويقول : لقد شرعت وخضت فى معايبى ومثالبى ، وكان ذلك الشخص يتكلم فى تمهيد معذرته وبراءة ساحته من تلك الريبة والتهمة ، فقال له سليمان: لقد نقل إلىّ هذا الكلام عنك ثقة صادق القول فقال الرجل إن من يكون ثقة لا ينمّ فقبل سليمان عذره وأثنى عليه لهذا القول،فقد قال أحمد بن قيس : إن النمام أحق الناس بأن يظن به السوء ويوسم ويتهم بالخلق الذميم والسيرة غير الحميدة لأن كل فعل وخصلة غير مرضية لمن يحيل عليه النمام تكون

(١) البيت للفرزدق وهو من الطويل .

فى حجاب الارتياب وموضع الاشتباه، ولا يوجد أى شك وشبهة فى نميمة النمام وسعايته التى هى أذم خصلة وأرذل عادة وقد أصبحت يقيناً، وأتى الشاعر بهذا المعنى فى قوله:

فان كنت قد بلغت منىّ وشاية فمبلغك الواشى أغش وأكذب(١)

— ٤٧ —

أى بنى: لا تنغص عيشك بقلة الصبر وعجلة الطبع ولا تكدر مشرب أمورك بتتبع ومجاملة وتألف من لا يلتفت إليك ولا يبالى بك (ولا خير فى ودّ يكون بشافع) فان الصبر والوقار على مكروه ضئيل وحقير أفضل وأليق بالفعل من طلب الخلاص والنجاة من ضرر عظيم وخطر كبير.

بيت:

الصبر أوله مر مذاقتــــه لكن آخره أحلى من العسل (٢)

وأعلم أن كل من فتح طريق كلام الناس إلى مسامعه ومكن قرب الوشاة إليه واصغى وصدق السعاية بمقربيه وخلصائه يكون قد جعل قلبه عشّا للغضب وموقدا للحقد والحسد لأنه يبقى أكثر الأوقات مغموما بالاستماع إلى تقريرات وتزويرات الساعين والناقلين ويصبح فى أكثر الحالات سقيم الخاطر ومنقسم الضمير بالتفكير فيها وتدبرها ومبتلى وملق (٣) بالغيظ والغضب والحقد وتستولى الجهالة على نفسه وتزين مرآة قلبه بصدا الرذيلة وتغلق دونه أبواب فراغ البال ورغادة العيش وماذا يتوقع

(١) البيت للنابغة الذبيانى وهو من الطويل، ويروى: اثن.

(٢) البيت لسلم بن عمرو الشاعر العباسى وهو من البسيط وقد روى أيضا.

الصبر كالصبر مرّ فى مذاقتــه لكن عواقبه أحلى من العسل

(٣) أى ممتحنا

عمن ينتسب إلى وصمة سمة الجهل ويتسم بسمات طبيعية العجز (وداء الجهل ليس له دواء) .

فينبغى أن تصون نفسك عن كل ما فيه مظنة عار الجهل وأن تجتنب وتحترز من رذيلة الجهالة وتعلم علم اليقين أن « قيمة كل أمرىء ما يحسنه » أى أن قدر المرء وقيمته بالعلم الذى يحسنه[1] .

العلم تاج للفتى والعقل طوق من ذهب[2]

بيت فارسى وترجمته :

تعلم الأدب إذا شئت ، وإلا أدبك الزمن

— ٤٨ —

أى بنى : يجب أن يكون حرصك وولعك مقصوراً على مخالطة ومجالسة الثقات ومن يعول عليهم الذين تكون قد اخترتهم من بين أمثالك وأقرانك ورغبت فى صداقتهم وألفتهم وأن الجد والسعى فى اكتساب الآداب فإن منفعتها لك شاملة وثمرة اقتنائها هانئة ، وأن تعاشر وتحاور الإخوان الصالحين والأصدقاء الناصحين حتى تستطيع أن تتحلى بمجالستهم ومؤانستهم ، وإذا شرعت فى خير وعزمت عليه استبقه وعجل به وعد إتمامه غنيمة وبادر هواك لكيلا يمنعك ويردعك عن ذلك الخير وإذا ما أقدمت على شرّ بداعى الضرورة فالتزم فى ذلك التأنى والتثبت بقدر الإمكان ، واحتل على هوى نفسك وغالبه واجتهد فى تسكين فورتها وكسر

(١) ترجمة الشرح الفارسى . (٢) لابن العميد وهو من مجزوء الكامل .

سورتها فإن صاحب الشريعة قد دعاها (أعدى عدوك) .

شعر :

إلهى لا تكلنى لمح طرف إلى نفس يعذبنى هواها[١]

حتى تسعد بالنجاح فى العزائم والمقاصد وتفوز بحصول الأغراض والآمال وتصبح معروفاً وموصوفاً بالفضيلة والعدالة ومشكوراً ومشهوراً بالسداد والرشاد ، واعلم أنه لا فقر قطّ ولا احتياج مثل فقر العقل لأن الدرويش فى الحقيقة هو العاطل من ثروة العقل ولا زينة له من حلية العلم ولا غنى ولا استغناء قطّ مثل استغناء النفس وغناها ، فالغنى وذو اليسار فى الحقيقة هو من يتحقق لنفسه الاستغناء عن تتبع المطامع الفاسدة ، وقد قال صاحب الشريعة عليه السلام : (ما خلق الله خلقا أكرم خلقاً من العقل) أى لا يوجد من المخلوقات عند الله مخلوق قطّ أكرم من العقل لأن الإنسان قد نال شرف خلافة الخالق بحلية العقل[٢] .

شعر فارسى وترجمته :

عندما يجعل المرء العقل حصنا ، يجعل السهى بالعقل بدرا

فيكون ملكا بفضل العقل ، ويصبح شمساً بظله

وإذا دل المرء أبواه ، فللحكماء دلال العقل والنفس

وكل من له دراية بالعقل ، يكون مبرّأ من كل عيب

— ٤٩ —

أى بنى : تعود القناعة وارض وطب نفساً بما رزقك الله تعالى .

(١) البيت للشريف ، وهو من الوافر . (٢) ترجمة الشرح الفارسى .

وقسم لك ، واجعل نفسك مستغنية وغير طامعة فيما لغيرك .

بيت فارسى وترجمته :

كلما سلكت طريق الحرص   تمادت به أمـــور دنياك

— ٥٠ —

أى بنى : إذا كنت ذا ميل إلى أحد ولك إلى بابه التفات ووثقت به عن طريق حسن الظن،فإياك أن تبالغ فى حمده والثناء عليه ومدحه وإطرائه قبل اختياره واعتبار أحواله وعاداته وامتحان سرائره وطبائعه وإمعان النظر دون غرض فى أموره وأخلاقه .

شعر :

لا تحمدنّ إمرأ حتى تجربه   ولا تذمنّه من غير تجريب[1]

لأنك إذا كنت قد أفرطت فى مدحه دون إنصاف وبصيرة ، وتحتم بعد الإمتحان والتجربة العدول إلى خلاف ذلك المذهب ، تكون أولى بالملامة والمذمة من ذلك الملوم ، إذ أنك قد التفت إليه قبل العلم واليقين والاعتبار الصادق ، وملت إليه ووثقت به بغير إجماع وتحقيق .

إن قلوب الناس متقلبة وعاداتهم متفاوتة ولكل نفس طبيعة غالبة (وكل أمرىء ميسر لما خلق له) .

---

(١) للمتنبي وهو من البسيط .

شعر :

فلو كانت الأخلاق تحوى دراية ‏ ‏ ولو كانت الأهواء لاتتشعّب

لأصبح كل الناس قد ضمهم هوى ‏ ‏ كما أن كل الناس قد ضمهم أب

ولكنما كل ميسر ‏ ‏ لما هو مخلوق له ومقرب [١]

فيجب أن لاتدخر جهداً فى الامتحان وأن لا تخوض فى حمد أحد ومذمّته وتحسينه وتهجينه دون الدراسة والتحقق .

— ٥١ —

أى بنى : اعلم أن الفقير يتهمه الناصحون ويسوء به ظن الأصدقاء ولا يسترون ولا يخفون إثمه وجريمته لأن الفقير محل التهمة وسوء الظن والناس يسمون شجاعة الفقير حمقا ويحملون سخاوته على الإسراف ويخالون حلمه ضعفا ويعدّون وقاره وثباته بلادة ويدعون فصاحته وذلاقته هذرا وهذيانا ويعتبرون قلة كلامه وصمته بكما وعيّا .

شعر :

وما أحد من ألسن الناس سالما ‏ ‏ ولو أنه ذلك النبي المطهر

فإن كان مقداما يقولون أهوج ‏ ‏ وإن كان مفضالا يقال مبذر

وإن كان سكيتا يقولون أبكم ‏ ‏ وإن كان منطيقا يقولون مهذر

---

(١) الأبيات للقاضى منصور الهروى الأزدى وهى من الطويل .

وإن كان صوّاما وبالليل قائما يقولون رزّاق يرائى ويمكر
فلا تحتفل بالناس والحمد والثنا ولا تخش غير الله فالله أكبر[1]

* * *

هذه هى خاتمة كلام عبد الله بن المقفع رحمه الله فى هذه الرسالة :

(١) الأبيات من الطويل وهى للشريف نظم فيها حكمة ابن المقفع وقد سبق أن أشرنا إلى نص كلام ابن المقفع فى مقدمة الكتاب .

خاتمة كلام الطوسى

إن عرض هـذه الـكلمات السقيمة والمترجمات المشوشة والـكلام الركيك والعبارات الواهية يمـكن أن يـكون فى نظر المجلس الشريف العالى الذى هو محل عيار المعرفة معرض حياء الداعى وخجلته لأن نقده قبيح عند النظر وهذا الناقد بصير (ولـكن المأمور معذور) .

والأمل فى كرم العظيم أن يبقى عيب ذلك وعواره مستورا بستر الإغضاء والتجاوز ، وإذا حظى هذا الأثر بشرف الارتضاء وعودتنى الأيام الشجاعة والسماحة ، وتنحت عن المضايقة والمعاوقة ، ورافقنى التوفيق أخوض إن شاء الله تعالى بعد هذا فى ترجمة الرسائل التى ذكرت فى صدر هذه الترجمة .

ترجمة حياة نصير الدين الطوسى

الامام الطوسى

٥٩٧ — ٦٧٢ هـ

هو أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن نصير الدين الطوسى ولد بمدينة «طوس» ونشأ بها[1] ، وتتلمذ على علمائها ، وتخرّج عليهم فاجازه استاذه معين الدين سالم بن بدران المصرى وهو فى الثانية والعشرين من عمره ، شاهدا بعلمه وتفوقه . ثم اتصل الطوسى بحاكم قهستان ناصر الدين عبد الرحيم بن أبى منصور فأكرمه ورعاه وألف له الطوسى كتابه « اخلاق ناصرى » وخدم زعماء الاسماعيلية وأصبح قويا اليهم ، ولما احتلت جيوش المغول قلاع الاسماعيلى وبلادهم أخرجت نصير الدين منها وأخذته معها وهى فى طريقها إلى بغداد للاستيلاء عليها فكان مع الجيش المغولى الذى هاجم بغداد واستولى عليها عام ٦٥٦ هـ .

وكان سبب مغادرته بغداد واتصاله بالاسماعيلية أنه شهد فيها اضطراب الأحوال وانصراف الخليفة وحاشيته عن مصالح الدولة العليا إلى الانشغال بشئونهم الخاصة والحقد والسعاية بعضهم ببعض كما رأى الفتنة على قدم وساق بين الشيعة وأهل السنة وغفلة الخليفة ورجال دولته عن الأخطار الخارجية والداخلية المحدقة بالبلاد فخرج من بغداد فى عهد الخليفة المعتصم بالله (٦٤٠ — ٦٥٦ هـ / ١٢٤٢ — ١٢٥٨ م) إلى بلاد الجبل والتحق بخدمة علاء الدين محمد بن حسن الاسماعيلى وتقرب من حاكم قهستان ناصر الدين عبد الرحيم ولكنه لم يجد لدى الاسماعيلية ما كان يحلم به من حرية الرأى والطمأنينة المذهبية ووجد نفسه مرغما على الذهاب

---

(١) وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أنه ولد فى قرية جهرود من أعمال مدينة قم ثم نزح إلى مدينة طوس محافظة خراسان وأقام فيها فترة طويلة حتى نسب اليها .

لمذهبهم فى العقيدة لا يجد فكاكا من أسرهم ولا يقوى على مجاهرتهم بما يراه ، وكان شيعياً إمامياً .

وفى أوائل القرن السابع تدفقت جحافل المغول على إيران وكانت شهرة الطوسى فى الرصد وعلم النجوم قد بلغت هولاكو فأبقى عليه ليفيد من علمه ومكانته بين الناس ورحَّب الطوسى بالانضمام إلى هولاكو وتمكن بفضل اتصاله به من انقاذ كثير من الكتب النافعة والكنوز العلمية النفيسة والابقاء على ارواح كثير من أهل العلم والفضل . وأصبح بعد ذلك علما فى بغداد يتصل به علماؤها ومفكروها وأدباؤها وأصبح بمثابة وزير لـ «هولاكو» المغولى ، وولاه الاشراف على شئون الأوقاف فى سائر المملكة . وبنى عام ٦٥٧ ﻫ بمراغة مرصدا ضخما واسس فيه مكتبة عظيمة جمع بها الكتب من سائر البلاد التى فتحها جيش المغول وخصوصا العراق والشام وجهز المرصد بشتى الآلات الدقيقة وعين فيه المهندسين والفلكيين ، وقد انجز كل ما يلزم له حتى عام (٦٧٢ ﻫ) وفيه صنع عدة تقاويم فلكية جديدة تعرف بالزيج (المرصد) الايلخانى تنويها باسم هولاكو — الايلخان الأول — وقد ذاعت هذه التقاويم وانتشرت فى انحاء آسيا حتى الصين وتوفى رحمه الله عام (٦٧٢ ﻫ) ودفن بجوار ضريح الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فى الكاظمية الواقعة فى ضاحية مدينة بغداد .

وقد اشتغل الطوسى إلى جانب التأليف والرصد والنجوم بالترجمة من العربية إلى الفارسية ، فلخص وترجم كتاب الطهارة لابن مسكوية إلى الفارسية وسماه باسم «أخلاق ناصرى» وزبدة الحقائق لعين القضاة الهمدانى ومن بين مترجماته إلى الفارسية كتاب «الأدب الوجيز للولد الصغير» المنسوب إلى ابن المقفع وهو الذى قدمناه إلى قراء العربية.. وللامام الطوسى تراث علمى جليل وآثار خالدة لا تقدر بقيمة وهى . . .

(١) آغاز وأنجام فى أحوال القيامة — طبع فى طهران

(٢) آداب المتعلمين — «

(٣) أخلاق ناصرى — «

(٤) أساس الاقتباس — تحقيق مدرس رضوى أستاذ الأدب الفارسى بجامعة طهران — طبع فى طهران

(٥) أوصاف الاشراف — «

(٦) تجريد الكلام — طهران وبومباى

(٧) تجريد المنطق — طهران

(٨) تحرير أصول الهندسة لاقليدس — ليدن وكلكتة

(٩) تلخيص المحصل — مصر

(١٠) حل مشكلات الإشارات والتنبيهات — لكناو

(١١) رسائل الطوسى «المجلد الأول» — حيدر آباد

ويشتمل على الرسائل التالية . . .

ا — تحرير المعطيات لاقليدس .

ب — تحرير الأكر لثاوذوسيوس .

ح — تحرير المساكن لثاوذوسيوس .

ى — تحرير الكرة المتحركة لاطولوقس

ه — تحرير المناظر لاقليدس .

و — تحرير ظاهرات الفلك لاقليدس .

ز — تحرير الأيام والليالى لثاوذوسيوس .

(١٢) رسائل الطوسى «المجلد الثانى» — حيدر آباد

ويشتمل على الرسائل التالية . . .

ا — تحرير كتاب معرفة مساحة الأشكال لبنى موسى .

ب — تحرير كتاب المفروضات لثابت بن قرة .

حـ — تحرير كتاب المأخوذات لأرشميدس .

ء — تحرير كتاب جرمى النيرين لاسطرخس .

هـ — تحرير كتاب الكرة والأسطوانة لأرشميدس .

و — تحرير كتاب الطلوع والغروب لاوطولوقس

ز — تحرير كتاب المطالع لايسقلاوس .

ح — الرسالة الشافية .

ط — تحرير كتاب مانالاوس فى الأشكال الكروية .

(١٣) رسالة بقاء النفس بعد فناء الجسد — نشرها ، أبو عبـــد الله الزنجانى — مصر .

(١٤) زبدة الهيئة ورسائل أخرى — طهران

(١٥) سير وسلوك

(١٦) شرح الإشارات — قسم الألهيات لابن سينا — الآستانة

(١٧) فصول العقائد ، وقد ترجمه من الفارسية إلى العربية الشيخ محمد بن على الفارسى الاسترابادى[1] . وهو مطبوع فى مصر

(١٨) قواعد العقـائد — طهران

---

(١) روضات الجنات ٥٨١ / ٥٨٢ .

(١٩) معيار الأشعار فى العروض طهران

(٢٠) المقــالات الست [١]

وسواها من الآثار العلمية النفيسة وقد نشرت له مطبعة المعارف ببغداد كتاب مطارحات فلسفية بين الطوسى و تلميذه نجم الدين الكاتب الفيلسوف (٦٠٠ — ٦٧٥ هـ) [٢] .

وعلى الجملة فالطوسى من أعلام الإسلام فى القرن السابع الهجرى ومن أئمته الخالدين . وقد نشر له استاذنا الكبير الدكتور يحيى الخشاب كتاب « آداب المتعلمين » وصدره بمقدمة نفيسة تحدث فيها عن الطوسى الفيلسوف وتراثه ، ويذكر أن الطوسى ولد فى قرية « جهرود » من اعمال مدينة « قم » عام ٥٩٧ — ١٢٠٠ م وأقام فى طوس فترة طويلة حتى نسب اليها ، ويصفه بأنه أعلم اهل زمانه وانه هو الذى أعاد للحضارة الإسلامية بهاءها وقوتها فى أحلك الظروف السياسية واقساها على القسم الشرقى من العالم الإسلامى وهو لهذا قد استحق لقب « استاذ البشر » ، وبفضله بقى لنا الكثير من الكتب النفيسة والآثار ، ونجا الكثير من العلماء والادباء من بطش

---

(١) راجع مقدمة الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مطارحات فلسفية بين الإمام الطوسى ونجم الدين الكاتبى .

(٢) راجع فوات الوفيات ١٨٦/٢ ، وهدية العارفين ١٣١/٢ ، والفوائد الرضوية ٦٠٤/٣ ، وروضات الجنات ٥٨٢ ، وتاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ٢٥٠/٣ ، والحوادث الجامعة ٣١٤ ، وكشف الظنون ٨٤٢/١ ، وفهرس مكتبة جامعة طهران ٢٥٢/٣ ، وفهرست المكتبة الرضوية ٣١٤/٤ .

هولاكو[1] . ومؤلفات الطوسى فوق ذلك تعد ثروة علمية خالدة ، وتبلغ أكثر من مائة كتاب على مايروى .

---

(١) راجع تاريخ مفصل إيران لعباس اقبال ١/٥٠٢ ، وراجع أيضا تصدير كتاب آداب المتعلمين بقلم الأستاذ الدكتور يحيى الخشاب طبعة القاهرة عام ١٩٥٧ م ، واتفق أن عثر الأستاذ على نسخة مخطوطة من هذا الكتاب باللغة العربية وهى موجودة فى مكتبة جامعة القاهرة فقام بنشرها وتحقيقها ، وقد سبق أن نشر الكتاب فى إيران كذلك على هامش كتاب «جامع المقدمات» والكتاب الأخير هو أول كتاب تُقرّر دراسته لمن يريد أن يتفقه فى الدين ويدرس الشريعة فى إيران ويحتوى على أربعة عشر كتاباً فى مبادئ العلوم العربية : فمنها الأنموذج للزمخشرى والعوامل للجرجانى والصمديّة فى النحو لبهاء الدين العاملى .

حياة الاستاذ عباس أقبال

بنیکنامی تو یك چندروزگار بنه
که چون روی زتو آن نام یادگار بماند



شادروان استاد بزرگوار عباس اقبال
آشتیانی در دوران خزان زندگی

— ١ —

كان[1] عباس أقبال أستاذاً بجامعة طهران وعضواً دائماً فى المجمع اللغوى بإيران (فرهنگستان إيران) ومن العلماء المجيدين الغزيرى الإنتاج وقد انطوت حياته العلمية الخصبة المثمرة بعد ستين عاما فى سنة ١٣٣٤ هـ.ش - ١٩٥٥ م.

ولد عباس أقبال عام ١٣١٤ هـ/ فى بلدة (آشتيان) بين أسرة من أصحاب الحرف وعمل فى صباه نجاراً بضع سنوات ولكن نفسه الجياشة بالرغبة الجامحة فى التعلم دفعت به إلى الكتّاب وارتضى لنفسه أن يقلل من ساعات عمله ويقنع بأجر أقل وضئيل ليتسنى له متابعة الدراسة. ولم يمض وقت طويل حتى استطاع بمواصلة جده واجتهاده أن ينتقل من الكتّاب إلى مدرسة (دار الفنون) وكانت فى ذلك الوقت أكبر المدارس الثانوية بطهران فأتم دراسته بها .

وتمكن هذا الشاب الناشىء من أسرة فقيرة خاملة الذكر ورغم إملاقه من مواصلة الدرس حتى تخرج من مدرسته فى أقصر مدة .

ولما كان من الطلبة المتفوقين فى التخرج بدار الفنون فقد عين مساعداً بمكتبة المعارف الملحقة بالمدرسة المذكورة وكلف كذلك بتدريس اللغة الفارسية فى نفس المدرسة التى تخرج فيها .

وكان كل يوم فى صعود مستمر فاشتغل بالتدريس فى المدارس الثانوية بطهران كما درّس الجغرافيا والتاريخ فى دار المعلمين العليا والمدرسة السياسية[2] والكلية العسكرية .

---

(١) نقلا عن مقدمة كتابه (الوزارة) طبعة جامعة طهران ١٩٥٩ .

(٢) تقابل فى مصر مدرسة الحقوق قبل إنشاء الجامعة .

وقد تتلمذ لإقبال كثير من مشاهير رجالنا المعاصرين ، ولما كان اقبال مدرساً فى الكلية العسكرية عين سكرتيراً للبعثة العسكرية الإيرانية فى باريس فسافر إليها فى سنة ١٣٤٤ هـ — ١٩٢٥ م واستأنف الدراسة من جديد وحصل على درجة الليسانس فى الأدب الفرنسى من السوربون .

وعندما كان إقبال فى مدرسة دار الفنون يعمل مساعداً فى مكتبتها أتاح له ذلك التعرف والاتصال بمشاهير أدباء عصره الذين كانوا صفوة محافل أهل الفضل فكان جليساً لملك الشعراء بهار ورشيد ياسمى وسردار معظم تيمور تاش وسعيد نفيسى واشترك معهم فى إصدار مجلة (دانشكده)[1] كما تعاون حينا مع محمد على فروغى وأبى الحسن فروغى وغلام حسين رهنما وعبد العظيم قريب فى اخراج مجلة (فروغ تربيت) . وكان عمله فى هاتين المجلتين سبب شهرة اقبال ككاتب وكان كل من له إلمام بالأدب الفارسى يقرأ تلك المجلات ويعرف اسم إقبال ويشيد بفضله .

وحين سافر اقبال إلى باريس تعرّف بالعلامة ميرزا محمد خان القزوينى ومنذ ذلك الوقت توطدت بينهما صداقة وثيقة استمرت حتى الموت ، وكان القزوينى يعرف إقبال من قبل عن طريق مؤلفاته وكتاباته التى كان ينشرها فى طهران ولا شك فى أن صداقة إقبال للقزوينى ومعاشرته له كان لهما أثر بالغ فى حياته العلمية وعندما عاد إلى بلاده من أوربا عين أستاذاً فى كلية الآداب بجامعة طهران وأصبح عضواً دائماً فى المجمع اللغوى بإيران .

وقد حملته الرغبة الأكيدة فى خدمة اللغة الفارسية وآدابها إلى إصدار مجلة أدبية تاريخية باسم « يادگار » أى التذكار سنة ١٣٦٤ هـ — ١٩٤٥ م / وأستمرت فى الصدور طوال خمس سنوات وكانت فى عداد خير المجلات الفارسية التى طبعت حتى الآن . وكما بادر كذلك إلى تأسيس ندوة أدبية

---

(١) دانشكده أى الكلية وتسمى الجامعة دانشگاه .

وسماها (أنجمن نشر آثار ايران) أى جمعية نشر التراث الإيرانى وكان غرضه من تأسيس هذه الجمعية نشر الكتب الفارسية القيمة الهامة وبعد أن عطلت مجلة يادگار فى سنة ١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م صار اقبال شديد الضيق والسأم وجفل من وطنه كئيباً حزين القلب ورضى بوظيفة مستشار ثقافى لبلاده لدى حكومتى تركيا وإيطاليا ليقضى ما تبقى من عمره فى راحة وهدوء، وظل فى هذا المنصب حتى ودع الحياة فى مدينة روما وترك هذا العالم الفانى .

وكان موت اقبال شديد الوقع على مواطنيه إذ فقدوا بموته رجلا لا يجود بمثله الدهر قبل أجيال .

— ٢ —

ولد الفقيد[١] سنة ١٣١٤هـ . فى قرية آشتيان وبعد أن انتهى من تحصيل معلوماته الأولية بقريته انتقل إلى طهران والتحق بمدرسة دار الفنون القديمة لاتمام دراسته وتخرج فيها سنة ١٣٢٥ هـ . وفى نفس السنة عين أميناً مساعداً بمكتبة المدرسة وكان فى نفس الوقت يقوم بالتدريس فى المدرسة المذكورة وكان فى أثناء ذلك يواصل تكميل نفسه بالاطلاع والتزود من الثقافة فى الخارج ثم اشتغل بتدريس الأدب الفارسى والجغرافيا بالكلية العسكرية ودار المعلمين والمدرسة السياسية العليا ، وعندما أصدر المرحوم العلامة وحيد دستگردى مجلة أرمغان فى عام ١٩٢٩ م اشترك عباس إقبال فى تحريرها بكتابة مقالات تاريخية وأدبية ، وبفضل كتابته فى هذه المجلة ومجلة كلية الآداب التى كانت تصدر تحت اشراف المرحوم ملك الشعراء بهار حصل على شهرة واسعة فى المحافل الأدبية والندوات الاجتماعية والثقافية .

وكان إقبال يقضى أكثر وقته فى التأليف ويجالس فى أوقات فراغه أفاضل الأساتذة أمثال المرحوم العلامة محمد القزوينى والمرحوم الدكتور قاسم غنى والمرحوم أبى الحسن فروعى .

وحينما انتدب للتدريس فى الكلية العسكرية أوفد من قبل وزارة الدفاع عام ١٣٤٣ هـ — ١٩٢٤ م إلى باريس فحصل أثناء إقامته بها على شهادة الليسانس من السوربون .

---

(١) نقلا عن كلمة وافانى بها صهره الأميرالاى علا .

وقد أصبح متضلعا فى اللغات العربية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية بفضل كثرة اشتغاله بالقراءة والبحث فيها فترجم إلى الفارسية بعبارة سهلة وأسلوب رائع كتاب سيرة الفلاسفة للرازى وكتاب ثلاث سنوات فى بلاط إيران تأليف الدكتور فوريبه الفرنسى وكتاب مهمة الجنرال جاردان رئيس بعثة نابليون العسكرية إلى إيران ومذكرات الجنرال تريزل الإنجليزى .

وفضلا عن اشتغال اقبال بالترجمة والتأليف فى الموضوعات العلمية الهامة قام بتأليف كتب دراسية قررّت لسنوات طويلة بمعاهد التعليم والمدارس الإيرانية فمنها :

١ — دوره جغرافياى عالم   فى ثلاثة أجزاء

٢ — دوره تاريخ إيران   فى جزئين .

٣ — دوره تاريخ عمومى

٤ — كليات جغرافياى اقتصادى

٥ — تصحيح وتحشية سياستنامة لنظام الملك .

ويعدّ إقبال من مشاهير ومحققى ومؤرخى إيران فى العصر الحاضر وكان يستند فى كتاباته وتآليفه إلى مصادر ومراجع تاريخية موثقة ويخرج كتبه فى أسلوب عذب رشيق .

وفيما يلى سجل آخر بمجموعة من آثاره وتأليفاته المشتملة على تحقيقات تاريخية وأدبية :

١ — كليات تاريخ تمدن جديد

٢ — تاريخ أكتشاف جغرافيائى

٣ — تاريخ مفصل إيران

٤ — خاندان نوبختى

٥ — تاريخ وشمگير زيارى

٦ — بحرين وجزاير إيران

٧ — خدمت إيرانيان بتمدن عالم (خدمة الفرس للحضارة العالمية)

٨ — ابن المقفع

كما قام إلى جانب ذلك بتصحيح الكتب التالية والتقديم لها والتعليق عليها وهى :

١ — ديوان أمير معزّى

٢ — لغت فرس .

٣ — شرح وأحوال كامل ولطائف وأشعار عبيد زاكانى

٤ — حدائق السحر فى دقائق الشعر لرشيد الدين الوطواط .

٥ — سفر نامه ميرزا محمد كلانتر فارسى

٦ — مجمع التواريخ .

٧ — تبصرة العوام .

٨ — معالم العلماء .

٩ — تتمة يتيمة الدهر للثعالبى .

١٠ — تجارب السلف .

١١ — تاريخ طبرستان .

١٢ — محاسن أصفهان .

١٣ — طبقات الشعراء لابن المعتز .

١٤ — شاهنامه فردوسى چاپ بروخيم

١٥ — تاريخ نوشامل حوادث دورة قاجارية تأليف جهانگيرميرزا .

وعند ما كان اقبال فى باريس ازدادت مخالطته وقوى اتصاله بالمرحوم

العلامة القزوينى فأدى ذلك إلى اشتراكهما فى تصحيح وتحشية الكتب التالية التى لم تطبع بكل أسف حتى الآن[١] .

١ — شدّ الإزار فى مزارات شيراز تأليف معين الدين الجندى الشيرازى

٢ — مجمل التواريخ لفصيح الخوافى[٢] .

٣ — هفت اقليم امين رازى .

٤ — سمط العلا .

٥ — عتبة الكتبة لمنتخب الدين أتابك الجوينى .

وعلاوة على الكتب السالف ذكرها قام إقبال فى طهران عام ١٩٢٩ م بطبع كتاب (نفحة الصدور) تأليف النسوى صاحب سيرة جلالة الدين بتعليق وتقديم المرحوم العلامة القزوينى ونشر أيضاً الجزء الثانى من كتاب (بيست مقاله) أى المقالات العشرين للقزوينى فى سنة ١٩٢٤ م .

ومن الأعمال الجليلة التى لا تنسى للمرحوم إقبال إصداره مجلة أدبية تاريخية علمية باسم (يادگار) صدر العدد الأول منها فى طهران فى شهر « شهريور »[١] عام ١٣٢٢ هـ ش — ١٩٤٤ م . ولم تستمر مدة صدورها مع الأسف أكثر من خمس سنوات وكانت من المجلات القليلة النظير فى تاريخ الصحافة الإيرانية .

وقد كابد المرحوم إقبال متاعب جمة فى سبيل إصدار هـذه المجلة والنهوض بها ومع ماكان يتحمله من الخسائر المادية فى نشرها ، استمر

---

(١) ولعل بعض تلك الكتب قد اخذ طريقها إلى الطبع غير أن بعدى عن الوطن قد حال دون علمى بذلك .

(٢) نسبة إلى خواف الواقع فى الحدود المشتركة بين إيران وأفغانستان .

(١) أحد الشهور الايرانية .

فى إصدارها بعزيمة لاتعرف الكلل والملل خدمة للأدب والثقافة والتعريف بكبار رجال إيران وجهابذة الفرس الذين كاد يعفى على أسمائهم النسيان ويطويهم التاريخ مع ما طوى ، ولكن مع الأسف البالغ عطلت هذه المجلة بسبب صدور قانون تحريم الاشتغال بالصحافة على موظفى الدولة وتصديق مجلس النواب الإيرانى على هذا القانون .

وكان هذا القرار صدمة عنيفة لمشاعر هذا الرجل العظيم فأحس باليأس وخيبة الأمل لضياع كل هذه الجهود التى عاناها سنوات طوالا لرفع مستوى الأدب والثقافة لجيل الشباب الإيرانى عن طريق انتشار هذه المجلة التى قضى عليها صدور هذا التشريع .

ونظراً لما تحمله إقبال من المتاعب بدافع العشق والحب لإحياء الأدب الفارسى وما تلقاه من الصدمات والآلام الروحية والنفسية فى هذا السبيل فإنه رضى بمنصب مستشار ثقافى فى سفارة إيران لدى حكومات بعض الدول العربية والتركية والإيطالية وقضى بضع سنوات بعيداً عن وطنه مكرّسا حياته للدراسة والتحقيق فى الميادين العلمية والأدبية حتى ودع الحياة الفانية فى مدينة روما بإيطاليا فى شهر « بهمن »[1] سنة ١٣٣٤هـ — ١٩٥٥م وكانت وفاته صدمة عنيفة هزت كيان الوسط الأدب الفارسى وقد نقل جثمانه الى طهران ودفن فى مقبرة الشيخ أبى الفتوح الرازى (قرب ضريح شاه عبد العظيم الواقع فى ضاحية طهران)[2] بجوار قبر صديقه العلامة القزوينى

وقد أهدى ورثته بعد وفاته مكتبته الى جامعة طهران فأفردت لها جناحا خاصا بمكتبة كلية الآداب ليفيد منها الدارسون والطلاب .

---

(١) أحد الشهور الايرانية .

(٢) هو من احفاد الحسن بن على عليهما السلام الإمام الثانى للشيعة الإمامية.

فهارس الكتاب

١ — فهرست الموضوعات

٢ — فهرست موضوع « رسالة الأدب الوجيز »

٣ — فهرست تراجم الأعلام الواردة فى الكتاب

٤ — فهرست الأعلام الواردة فى الرسالة

٥ ـ فهرست بأسماء الأعلام

الواردة فى مقدمات الرسالة وخواتيمها

ملاحظات أخيرة

١ — صفحة (١) سطر (٧) : « يقول الطوسى مقدمة » وصحتها : « ويقول الطوسى فى مقدمة » .

٢ — فى هامش صفحة (٧) وردت أرقام (٢ ، ٣ ، ٤) وهى تكون وفق الترتيب الوارد فى المتن (١ ، ٢ ، ٣) .

٣ — فى صفحة (١١) سطر (٧) : « كما أثبتاه » والصواب . « كما أثبتناه » .

٤ — فى هامش صفحة (١٢) سطر (٣) ورد فى النص الفارسى لكليلة ودمنة بها مشاهى : « خاموش » والصواب : « خاموشى بالحاق الياء المصدرية الفارسية إلى آخر الكلمة .

٥ — فى صفحة (١٤) سطر (٧) جاء لفظ « السجع » والأصح أن يقال « الموازنة » .

٦ — فى صفحة (٣٨) سطر (١٧) ورد الأسلوب وفقا للنص الفارسى « وأن تبلغ فى حمده وثنائه غاية الاجتهاد » غير أن الدقة فى الأسلوب يقضى بأن تكون الترجمة : « والثناء عليه » .

٧ — فى صفحة (٤٠) سطر (٨) « والاعتبار » وهكذا ورد فى النص الفارسى ولعل الأوفق : « والاختبار » .

٨ — فى صفحة (٤١) سطر (١) : « ومن خطب الحسناء لم يغله المهر شطر بيت لأبى فراس الحمدانى وتمامه : تهون علينا فى المعالى نفوسنا « ومن خطب الحسناء لم يغله المهر .

٩ — فى صفحة (٤٣) سطر (١٣) : « وإياك أن تجدّ وتجتهد » ويجوز الترجمة هكذا : « لا تجدّ ولا تجتهد » والأخير مطابق للنص الفارسى .

١٠ — فى صفحة (٤٤) سطر (١١) : « وابتغ فيما آتاك الخ » هى جزء من آية (٧٧) من سورة القصص .

١١ — فى صفحة (٥٠) سطر (١٥) : « ومباغيك » هكذا ورد فى النص

الفارسي ولعل الأوفق أن تكون ترجمتها : « ومراميك » .

١٢ — في صفحة (٥٢) سطر (٤) : جبهت بيد الردّ « وهي ترجمة للعبارة الفارسية « ودست رد برپيشاني تونهند

١٣ — في صفحة (٦٠) سطر (١١) ورد في النص الفارسي اسم « صاحب الشريعة » ويريد به الطوسي « رسول المحبة والسلام محمـــد صلوات الله وسلامه عليه » .

١٤ — في صفحة (٦٠) سطر (١٦) : « امتننانك » وهي خطأ وصحتها « امتنانك » .

١٥ — في صفحة (٧١) سطر (٣) : « قلاً » وصحتها : « قلباً » .

١٦ — في صفحة (٧٢) سطر (٩) : « كل من تصدر » فقد تكرر لفظ « من الموصول » .

١٧ — في صفحة (٧٤) سطر (١٢) . « توصف بصورة الشهوة » وصحتها : « توصف بسورة الشهوة » .

١٨ — في صفحة (٧٦) بعد السطر الثاني سقط رقم (٣٧) الذي يبين ترتيب فصول الكتاب التي يبدأ ابن المقفع كل واحد منها بكلمة « أي بني » .

١٩ — في صفحة (٧٧) سطر (٩) : « تعود بمخصوص الذكر » وصحتها : « تعود بمحمول الذكر » .

٢٠ — في صفحة (٧٩) سطر (٨) : « الاعتبار والاختيار » وصحتها : « الاعتبار والاختبار » .

٢١ — في صفحة (٨٠) سطر (٦) : « فإنه مخبثة لنفس المنعم » والمثل كما ضبط في النص الفارسي : « فالكفر مخبثة لنفس المنعم » .

٢٢ — في صفحة (٨٩) سطر (١١) : « والاعتبار الصادق » هكذا ورد في النص الفارسي ولعل الأوفق « الاختبار الصادق » .

٢٣ — ورد في آخر صفحة (٨٩) : « وكل أمرىء ميسر لما خلق له » وهو جزء من حديث نبويّ شريف .

٢٤ — فى صفحة (٩١) سطر (١) : « يقول رزّاق » وصوابها : « يقولون زرّاق » بتقديم الزاى المعجمة على الراء المهملة .

٢٥ — ورد فى هامش صفحة (٩١) : « وقد سبق أن أشرنا إلى نص كلام ابن المقفع فى مقدمة الكتاب » ونعنى بذلك أن النص ورد فى تمهيد الكتاب فانظر صفحة (١١) .

وتوجد فى الكتاب أخطاء طفيفة أخرى ترجع إلى الطباعة فعلى القارئ الكريم أن يلاحظ ذلك كما أرجو منه أن يسبل ستار الصفح على مايقف عليه من بعض الأساليب والتراكيب التى لايستسيغها الذوق العربى ، فإن اعترافى بالنقص كفيل بنيل العفو ، ألا وإن الكمال لله وحده .

عالم الكتب
الناشر: ٣٨ شارع عبد الخالق ثروت بالقاهرة